



قطاع الثقافة

# كتاب اليوم

يصدر  
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :

**إبراهيم سعده**

رئيس التحرير :

**نبيل أباذهلة**

١١١٩٩٩ عدد فبراير

# أسعار كتاب اليوم في الخارج

الجماهيرية العظمى ٢	دينار
المغرب ٢٠	درهما
لبنان ٤٥٠٠	ليرة
الأردن ٢٠٠	فلس
العراق ٧٠٠	فلس
الكويت ١٥	دينار
السودانية ١٢	ريالاً
السودان ٣٢٠٠	قرش
تونس ٢	دينار
الجزائر ١٧٥٠	ستة
وديما ١٢٥	ل.س
العيش ٦٠٠	ستة
البحرين ١٢٥٠	دينار
سلطنة عمان ١٢٥٠	ريال
غينيا ٢٥٠	دولار
ج. البيضاء ١٥٠	ريالاً
الصومال، نيجيريا ٨٠	بني
الستونال ٦٠	فرنك
الإمارات ١٢	درهما
قطر ١٢	ريالاً
إنجلترا ٢	ج
فرنسا ١٠	فرنك
المكسيك ١٠١	مارك
إيطاليا ٢٠٠٠	ليرة
مولندا ٥	ثلورين
باكستان ٣٥	ليرة
سويسرا ٤	فرنك
اليونان ١٠٠	دراخمة
النمسا ٤٠	شلن
الدنمارك ١٥	كرون
السويد ١٥	كرون
الهند ٢٥٠	روبية
كندا - أمريكا ٢٠٠	ستة
الملازيل ٤٠٠	كرونيرو
نيويورك - واشنطن ٣٥٠	ستة
لوس أنجلوس ٤٠٠	ستة
استراليا ٤٠٠	ستة

## ● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٦٠ جنيهاً مصرى

## ● البريد الجوى ●

دول اتحاد البريد العربى ٢٩ دولاراً

اتحاد البريد الافريقى ٣٤ دولاراً

أوربا وأمريكا ٣٩ دولاراً

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٩ دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٢ (١) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٣٠٣٢١٠

● تلكس محلى : ٢٨٢

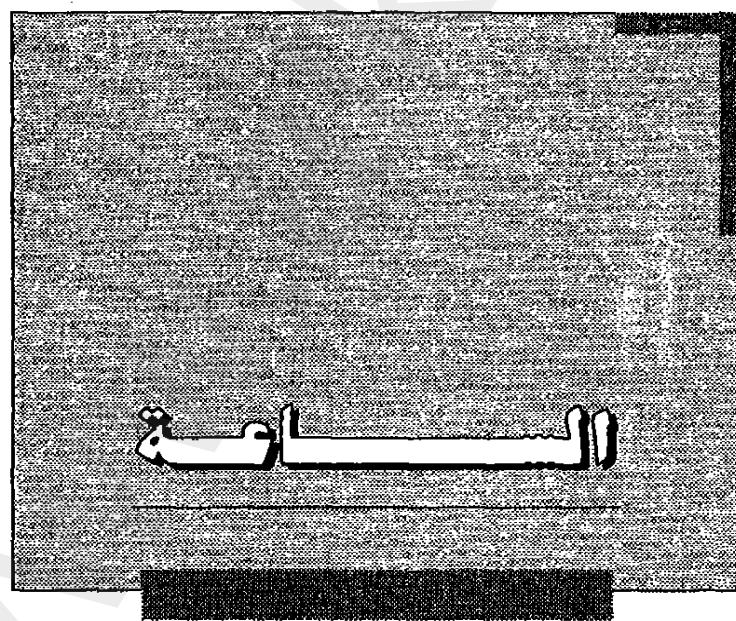
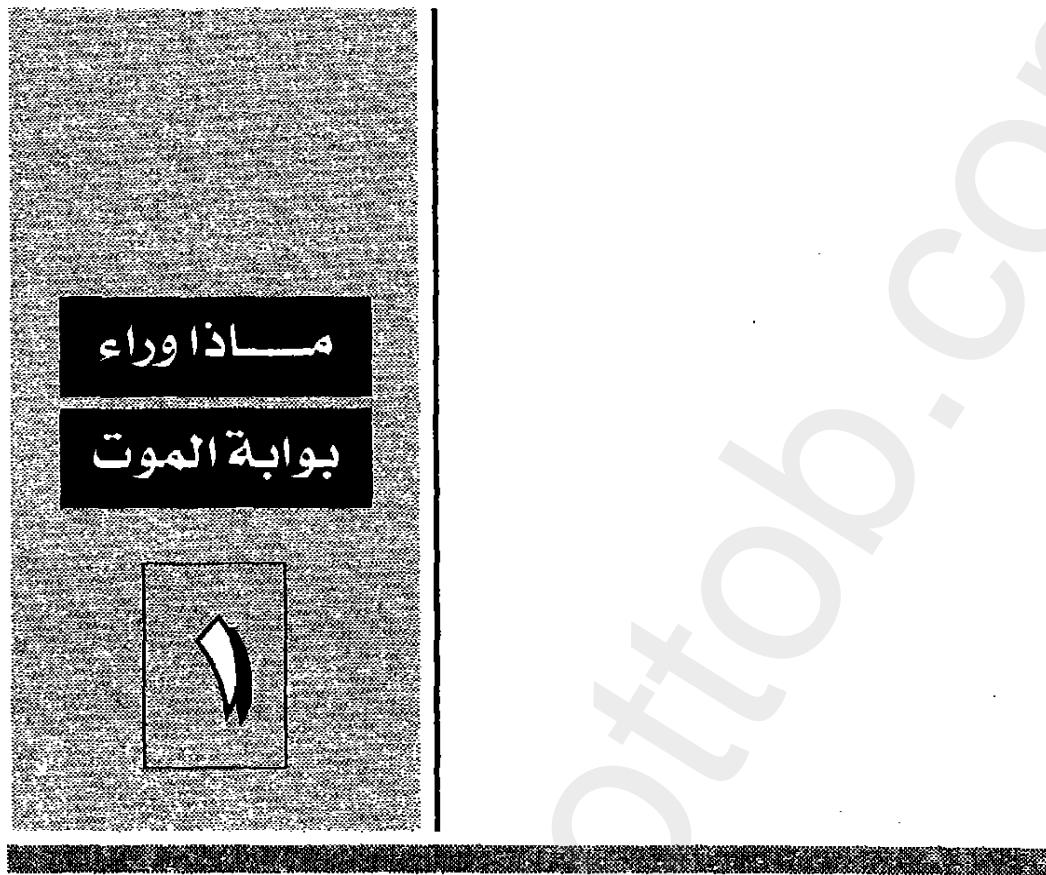
● قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة

● تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

سازمان فردان

بوابیت الہوت ؟

د. مصطفیٰ محمود



أهل الكهف الذين لبثوا نياً ما في كهفهم ثلاثة  
سنة قالوا حينما تيقظوا من رقدتهم للسائل الذي  
سأله: كم لبّثتم.. قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم..  
والذي أ Mataه الله مائة عام ثم بعثه قال نفس الجواب:  
يوماً أو بعض يوم .

﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير  
ساعة ﴾ (الروم: ٥٥)  
هكذا يحكى القرآن عن المجرمين وما قدروه للزمن الذي  
عاشوا في الدنيا والذي لبثوه في رقعة القبر.. إنه كان مجرد  
ساعة.

ويقول الله لرسوله عن الكافرين ناصحا له ومطمئنا:  
﴿ ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا  
إلا ساعة من نهار.. بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ (الأحقاف: ٣٥)

إنها أيضاً كانت بطولها وعرضها مجرد ساعة.  
ثم يقول - وهو أصدق القائلين - بشكل عام ومجمل عن خلقه  
حين يبعثون: ﴿ ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا إلا ساعة من نهار  
يتعرفون بينهم ﴾ (يونس: ٤٥)  
والأمر في البداية يبدو محيرا، فالذى لبث ثلاثة سنة يقول:  
إنها بعض يوم ، والذى لبث مائة سنة يقول نفس الشيء كأنه

لا فرق بين المائة والثلاثمائة.. والمجرم الذى عاش ثمانين عاما ثم مات يقول لحظة البعث إنها كانت ساعة والمجرم الذى عاش خمسين عاما فقط يقول لحظة البعث: إنها كانت ساعة، والمجرم الذى عاش تسعين عاما فقط يقول لحظة بعثه، ويقسم إنها كانت ساعة.. وقد استوى الذى مات شابا والذى مات شيخا فال الأربعون كالتسعون كالثمانون.. استوت فى الوعى بأنها لا تزيد على ساعة.. وكذلك الثلاثمائة عام بالمائة عام.

ويقول الله - وهو أصدق القائلين - إن هذا هو الحال العام لكل البشرية لحظة بعثها.. إنآلاف السنين التى مضت وانقضت فى عصور تلو عصور وتعاقبت بين خلافات وحروب أو أوقات سلم ورخاء يتعارفون فيها بينهم كلها كانت مجرد ساعة.. أو هكذا بدت فى وعيهم الجديد.

وتنجلى الحيرة حين نعلم أن الوعى الجديد فى الآخرة هو شعور مختلف ووعى مختلف بالامتداد والأبدية.. بينما كانت الدنيا فى حياتهم الأولى مجرد زمن ومجرد ثوان تترى لا تأبىده فيها. وأى مقدار زمنى بالنسبة للأبدية هو كم مهملا.. كما تقول فى الحساب: إن أى رقم بالنسبة للانهاية هو صفر أو أقرب ما يكون إلى الصفر.. تستوى فى ذلك العشرة والعشرون والألف والمليون كلها مقادير تافهة ومهملة بالنسبة إلى الانهاية.. فيقول شعورنا عنها: إنها كانت مجرد ساعة تقليلا لشأنها ويصادق الله على كلامنا، فيقول هى كذلك وكأنما يقول لنا الله معاينا:

أما كان يجب أن تصبروا على تلك الساعة بحلوها ومرها وتنعاشوا بالمعروف بدلا من أن يقتل بعضكم ببعض على ثوان تافهة من السعادة وترتكبوا كل تلك المظالم وتحملوا كل تلك

## «الساعة»

الأوزار على زمن مخادع لا يساوى شيئاً في عمر الأبدية التي ستغدو الآن عذاباً مؤبداً وبؤساً مقيماً لا انقضاء له.

إنها النسبة القائلة حينما تصبح قدراء، والملائين حينما تصبح صفراء، والعز حينما ينقلب ذلاً، والكبر حينما يغدو صغراً، والغنى حينما يصير فقراً.. وإلى الأبد.. ولأنه يا سادة.. وقد علمتم أن الدنيا كلها كانت مجرد ساعة، فهلا أدركتم ماذا تبقى في حياتكم من دقائق في تلك الساعة؟

وملا عجلتكم لتدارك أخطائكم وأصلاح شأنكم في الشوانى الباقيه من أعماركم (وما تبقى لا يزيد عن ثوان في الحساب الحقيقي) ومن حسن الحظ إننا لا نزال جميعاً أحياه نسعى ونروح ونفتدي في تلك الأيام والشهور والسنين التي هي أشبه بالوهم.. وأننا يمكن أن نتدارك الأمر ونفتق من الغفلة.

وما نقوله للفرد هنا.. نقوله للأمم.. نقوله لإسرائيل - كمثال - التي تريد أن تعلو وتهيمن وتحكم بالمكر والظلم والقوة الأمريكية والقنابل الذرية.. لمدة ثلاثة دقائق، أو بالحقيقة ثوان.. نعم هي ثلاثة ثوان في المقدار الباقي من الساعة، ومن عمر التاريخ المعتمد في الوهم والخيال والذي يبدو في أعيننا كأنه دهر.

ومن حسن الحظ أن الكارثة لم تبدأ بعد وأنه يمكن تدارك الأمر بطرح الغرور وخلع رداء الكبر والاستعلاء والسعى إلى السلام بنية صادقة.

أقول هذا الكلام وأنا أعلم أنني أتمنى على الله الأمانى.. وأن قضاء الله قد سبق، وقلم المشيئة قد كتب بشأن إسرائيل ما لا رجعة فيه، وأنها ستعلو وتقسّد وتظلم، وأن الدمار نازل بها لا محالة وسوء الخاتمة لاحق بها لا مفر.

## ■ السامة ■

والله يقول لهم: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

وهو يعلم سبحانه أنهم سوف يسيئون.. يقول : ﴿فَإِذَا جَاءَ عَدُّ الْآخِرَةِ لِيُسَوِّعُوا وَجْهَهُمْ﴾.

إشارة إلى ما سوف يفعله المسلمون بدخولهم المسجد ويتدميرهم كل ما رفع اليهود من بناء وكل ما عمروا من هيكل. ولأن الإسلام وقرآنـه يقول هذا ويتنبأ لهم بهذا الشؤمـ. تحرك إسرائيلـ العالم وتؤليـه على الإسلامـ، وعلى المسلمينـ وتختلطـ من وراءـ الستارـ في كلـ ما يجريـ لإثارةـ الدنياـ علىـ الإسلامـ وأهـلهـ.

وآخرـ ما حـدثـ فيـ هـذـاـ المـسـلـسـلـ كـانـتـ مـؤـامـرـةـ المـوسـادـ لـنـسـفـ مـقـرـ الأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ فـىـ نـيـويـورـكـ التـىـ كـشـفـتـ التـحـقـيقـاتـ تـورـطـ جـمـاعـاتـ الضـغـطـ الصـهـيـونـىـ فـيـهاـ ثـمـ حـاوـلتـ الـحـكـومـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ التـعـمـيـةـ عـلـىـ تـلـكـ التـحـقـيقـاتـ.. وـكـانـ الـأـمـلـ إـلـصـاقـ التـهـمـةـ بـأـىـ جـهـةـ إـسـلامـيـةـ.. كـالـعـادـةـ.

وـمـنـ قـبـلـ ذـلـكـ كـانـ اـشـتـراكـ المـوسـادـ فـىـ مـؤـامـرـةـ تـفـجـيرـ كـنـيـسـةـ سـيـدةـ النـجـاةـ فـىـ لـبـانـ لـنـفـسـ الـهـدـفـ.. لـاتـهـامـ الـأـيـدـىـ إـلـاسـلـامـيـةـ.. وـلـإـثـارـةـ الـحـربـ الـأـهـلـيـةـ مـنـ جـدـيدـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ وـالـمـسـيـحـيـيـنـ فـىـ لـبـانـ.

وـالـمـسـلـسـلـ مـسـتـمـرـ لـتـشـوـيـهـ وـتـلـطـيـخـ إـلـاسـلـامـ وـأـهـلـهـ بـكـلـ خـسـيسـ وـدـنـيـءـ مـنـ التـهـمـ، وـلـمـ يـقـ منـ السـاعـةـ إـلـاـ بـضـعـ ثـوـانـ تـرـيـدـهـاـ إـسـرـائـيلـ لـنـفـسـهـاـ عـلـىـ وـاسـتـكـبـارـاـ فـىـ الـأـرـضـ وـتـطـلـبـ هـذـاـ الـعـلـوـ بـأـىـ ثـمـنـ.

ولـنـ يـجـدـيـ نـصـحـيـ شـيـئـاـ وـلـنـ يـغـيـرـ مـنـ قـدـرـ اللـهـ شـيـئـاـ، وـلـنـ يـمـحـوـ حـرـفـاـ مـاـ كـتـبـ اللـهـ لـهـمـ.. وـأـتـذـكـرـ كـلـمـاتـ نـوـحـ لـقـوـمـهـ مـنـ الـكـفـارـ: ﴿وَلَا يـنـفـعـكـمـ نـصـحـيـ إـنـ أـرـدـتـ أـنـ أـنـصـحـ لـكـمـ إـنـ كـانـ اللـهـ يـرـيدـ أـنـ يـغـوـيـكـمـ﴾ (هـودـ: ٢٤ـ)

## الساعة

وقوله لهم في مكان آخر يائسا من إصلاحهم:  
﴿يا قوم أرأيت إن كنت على بينة من ربى وأتاني رحمة من  
عنه فعميت عليكم أنزلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾.  
ذلك لأنه لا إكراه في سنة الله على شيء ولو كان على الخير،  
وأن التخيير هو الأساس في كل عمل لأنه أساس التكليف والثواب  
والعقاب.

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.

وقد خير الله الجمادات فعرض عليها الأمانة وأن تكون حرة  
مسئولة في حركتها أو مسيرة بالقانون الإلهي:  
﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال  
فأبین أن يحملنها وأشفقن منها﴾.  
فضلت أن تكون مسيرة بقدر الله.

والإنسان وهو القمة في المخلوقات أقبل على حمل تلك الأمانة  
في رعونة وجهالة، وأصبح مخيرا فيما يفعل من خير وشر..  
والداخلون إلى الجحيم سوف يدخلونها بأرجلهم وبعنادهم  
ورفضهم.. وقد لعنت التوراة اليهود لصاففهم وعنادهم ورقبتهم  
المتصلبة، وقال فيهم الإنجيل ما هو أكثر.

وها نحن أولاء قد رأينا المسلمين يتنازلون ويوقعون ويبذلون  
بالسلام.. وأول من ذهب إلى الكنيست كان أنور السادات المسلم..  
هو الذي مد يده بالسلام وهو منتصر وغالب.

ورأينا الطرف الإسرائيلي يقدم رجلا ويؤخر أخرى، وسمعنا  
رابين يقول: أصافح بيد اليد الأخرى على الزناد.. وسمعناهم  
يتربّدون بآناشيد السلام، ويرجمون الجنوب اللبناني بالصوراريخ

## ■ الساعة ■

ويحتلون المزيد من الأراضي ويبنون المزيد من المستوطنات في نفس الوقت، ورأيناهم يطاردون العراق وكوريا الشمالية وإيران وباكستان بالاتهام بصناعة القنبلة الذرية.. وينكرون عليهم أي بحث في إنتاج هذا السلاح، بينما هم يملكون مائتي رأس نووية جاهزة للطلاق.. ولا يتحرك العالم للإنكار عليهم أو تفتيشهم أو مطالبتهم بحظر تلك الأسلحة المدمرة.

العالم كله يساندهم في ظلمهم ويبير لهم كل ما يفعلون بينما يضغط علينا للمزيد من التنازلات.

وإسرائيل تريد التطبيع فوريًا وكاملاً دون أن تتنازل عن شبر من الأرض، بل على العكس تحصل كل يوم المزيد من الأرض، وتبني المزيد من المستوطنات، وتغير بطائراتها على أراضي الغير التي لا تملكها وتدكها بالقنابل وتقتل وتحرق الأرض والزرع على مشهد من العالم، وتطالب بالتطبيع وهي شاهدة سلاحها النووي في وجه العرب.. وما هو بتطبيع بل تركيع.

إنها التاجر الجشع الذي يريد أن يقبض الثمن ولا يقدم في مقابله شيئاً، وهي الطاغية الذي يباشر القتل والطغيان ويرفض أن يحاسب على جرائمه.. وهي تنسى أن ملكها ودولتها لم يتبق منها إلا دقائق وربما ثوان في الساعة الإلهية التي منحها الله للدنيا.. وعقرب الثواني يدق ثانية بثانية ويقترب من الصفر.

ولكنها هي والعالم في سكرة.

وهي تظن أن أمامها الدهر كله لتعلو وتحكم وتسود وما هو إلا الوهم ولا يزال كلام الله الذي قاله لموسى في طور سيناء يرن في أذن الأبدية:

## ■ الساعة ■

﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما  
تسعى ﴾  
ولا يزال عقرب الدقائق يجري منذ ذلك التاريخ وعقارب الثوانى  
يسرع إلى غايته وقد أوشك العد على النهاية.  
فى منتصف العمر  
وقفت أمام قبر الرسول الكريم منكس الرأس حياء وقد هربت  
منى الكلمات:

كلى حياء منك يا رسول الله..  
أحسنت بالتبليغ عن ربك وما أحسنا.. وأحسنت النصح لأمتك  
وما نصحتنا.. وحملت كتابك بقوه وما حملنا.. وانتصرت للحق  
وما انتصرنا.. واكتفى بعضاً بلحيته وقال هي سنتك.. وقصر  
البعض جلبابه وقال هو أمرك.. واستسهلاً السهل وخانوا الأهل،  
واكتفوا من الدين بقشرته، ومن الجهاد بسيرته.. وقعدوا وقعدنا  
معهم.. وركب أكتافنا الدون والسوقه ورداع الناس وشذاذ الآفاق  
وسفحوا دماءنا واستباحوا أرضنا وشتتوا شملنا.

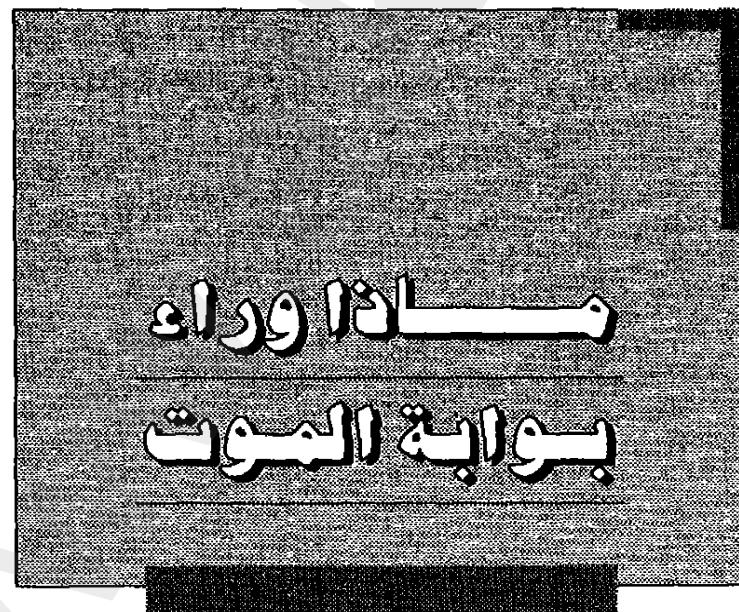
يا نصير اليتامي وجاه الضعفاء والمنكسرین، لن أسألك  
الشفاعة فلا توجد في عقیدتنا شفاعة، بمعنى «الواسطة» في  
الآخرة لرفع الذنوب وإنما الشفاعة في كتابنا تعنى «العمل»  
وشفيع الإنسان عمله وحده وكسبه وما صنع وما قدم.. وإنما  
أسأل الله بجاهك أن يختم لنا بتوبة وأن يرضى عنا، فقد وعدنا  
ووعده الحق أننا سندخل المسجد كما دخلناه أول مرة، وسنتمرر  
كل مارفعت إسرائيل من بناء، وكل ما شيدت من هيكل.. فلا  
توبة لنا إلا بتوبته، ولا رضا إلا برضاه.. ولا مدخل إلى طاعته  
إلا من بابك، ولا قربى إلا من رحابك.

■ الساعة ■

ادع لنا ألا يطول علينا الليل وألا يدركنا الويل.  
والسلام عليك يا محمد وصلوات الله عليك يوم ولدت ويوم  
مت ويوم تبعث حيا.

والسلام على الكرام البررة، سادة البشر وأئمة الدنيا.. السلام  
على أبي بكر وعمرو وعثمان وعلى.. والنجوم الزواهر من صحابتك  
الذين عاشوا تحت ظلال السيف، وادع لنا نحن جندك في مصر  
الذين قلت عنا: أننا خير أجناد الأرض، وإننا في رباط إلى أن تقوم  
الساعة.. أن تكون عند حسن ظنك.. وأن تكون مصداقاً لنبوءتك  
وآية لرسالتك.

والسلام عليك إلى يوم يقوم الأشهاد.



الكتب الصفراء التي تكتب عن عذاب القبر وتروى التفاصيل المشاهد والحكايات عما يجرى داخل القبر وعن الملائكة ناكر ونكير وما يقولان للميت وما يقوله الميت دفاعاً عن نفسه وألوان العذاب التي يلقاها.. هي كتب كثيرة تملأ الأرضية ويتهافت عليها الناس وأكثر ما في هذه الكتب تخيلات.. والقضية غيبية لا علم لأحد بها والمرجع الوحيد فيها هو كلام القرآن وشهادة عالم الغيب والشهادة عن هذه الأسرار.

وما ورد في القرآن عن مصير المجرمين والجبارين واضح وقاطع.. فعذاب هؤلاء الجبارين لا ينتظر رقدتهم في قبورهم ولا ينتظر انصراف آخر المعززين والمشيوعين.. وإنما هو يلحق بهم فور موتهم وفور سقوط الواحد منهم في مكتبه بالسكتة أو بالشیوخة أو هبوط الدورة الدموية.. وقبل أن تكون هناك جنازة يصطف وراءها المشيعون ويهلل الاتباع والأشیاع ويملاون الصحف بمقالات التمجيد.. قبل كل هذا.. وساعة الموت.. يفتح الستار عن المفاجأة وينكشف الغيب وتتوالى الأحداث.  
ماذا يقول القرآن؟!

﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم.. أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون

بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنِ آيَاتِهِ  
تَسْكِبُرُونَ》 (الأنعام: الآية ٩٣)

.. اليوم.. إنها ساعة خروج النفس المجرمة من البدن ولحظة  
الموت يتلقاها ملائكة العذاب بأسطى أيديهم.. بماذ؟؟ بالعذاب  
الهون.. ونقرأ في آية أخرى تفصيلاً أكثر لهذا العذاب الهون:  
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقْوِيُ الظِّنَّ كُفَّارُ الْمَلَائِكَةِ يَضْرِبُونَ  
وَجْهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: الآية ٥٠)

ويتكرر نفس المعنى في سورة محمد الآية ٢٧

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوْفَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وَجْهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ..  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رَضْوَانَهُ فَأَحْبَطُ  
أَعْمَالَهُمْ﴾

وإحباط الأعمال إشارة إلى أنهم كانوا أصحاب أعمال  
 وإنجازات وأمجاد دنيوية.

إنه الضرب على الوجه (والوجه هي رمز التكريم) وعلى  
الأدباء وتلك غاية الإهانة.

ولا توجد إشارة إلى أن الملائكة ينتظرون إعلان خبر الموت  
في الجرائد أو أنهم.. يتقطرون وراء المشيعين في انتظار انتهاء  
مراسيم الدفن وانصراف الأهل والأصحاب.. وإنما الضرب يأتي  
فور خروج النفس من البدن وهي صورة أشبه بالاستقبال الحافل  
لأصحاب الملائكة عند نزولهم من الطائرة.. ولكن على وجه آخر  
غير متوقع وغير مألوف.. فهي صحوة أشبه بالصدمة.

وهناك استقبال فوري من نوع آخر ينتظر الصالحين.. وهو  
 يحدث فور تجاوز النفس حدود الحلقوم وخروجه من الجسد  
لحظة الحشرجة دون انتظار لجنازة أو تشيع أو دفن.

يقول القرآن عن لحظة الحشرجة هذه: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتْ

الحلقوم وأنتم حينئذ تنتظرون ونحن أقرب إليه منكم (أى أقرب إلى الرجل الذى يحضر) ولكن لا تبصرون.. فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين.. فاما إن كان من المقربين فروح ريحان وجنة نعيم.. وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين»

(الواقعة: الآيات ٨٢ - ٩١)

إنه استقبال بالورد والريحان والترحاب والسلام والتحيات  
﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذُوبِينَ الضَّالِّينَ فَنَزَلَ مِنْ حَمِيمٍ  
وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾

(الواقعة: الآية ٩٢ - ٩٣)

والجحيم هنا هو المنزل المعد ساعتها لنزول المكذوبين  
الضاللين.. أما الأتقياء الطيبون فلهم مصير آخر.

﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ مُّلَائِكَةٌ طَيِّبُونَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ  
اَدْخُلُوهُمْ جَنَّةً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: الآية ٢٢)

فإذا جئنا إلى قوم نوح فإننا نراهم يدخلون النار فور غرقهم  
دون سؤال ودون حساب.. والكلام هنا عن النفوس وليس  
الأجساد فال أجساد هلكت غرقا أو أكلها التماسيح.

﴿مَا خَطِيَّا تَهُمْ أَغْرِقُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ  
دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (نوح: الآية ٢٥)

النار أعقبت الغرق مباشرة.. فما فعله قوم نوح برسولهم على  
مدى ألف سنة إلا خمسين عاما هو عمر هذا النبي قضاهما في  
جدال يائس.. هي مسألة ليست في حاجة إلى إعادة نظر كل هذا  
ولم تقم الساعة بعد ولم يحدث بعث ولا حشر ولا حساب.  
وما نقوله هو كلام يتعلق بعذاب يلحق بالنفوس فور الموت

وانكشاف مستورات الغيب ومعرفة كل نفس بمقامها عند ربها  
وما ينتظرها من مصير فالأجساد هلكت وأصبحت ترابا.

وعذاب القبور ورد مرة واحدة عن فرعون وعصابته.. يقول  
ربنا في قرآن: «النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم  
الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» (غافر: الآية ٤٦)

وعذاب القبور هنا هو عذاب نفسي يرذخى.. فهو عرض  
مستمر على النفوس الشاخصة في قبورها ارتقاها لمصير مشئوم  
وكابوس متواصل عن أهوال قادمة حينما تقوم الساعة.

أما الساعة والقيامة والبعث وعودة النفوس إلى التجسد (هذه  
المرة في أجساد ملکية لا تقنى ولا تهلك) فهي مرحلة أخرى..  
العذاب فيها أشد والنعيم فيها أعظم.. وهو أمر لا يحدث إلا عند  
نفحة الصور.

يقول القرآن:

«ونفح في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم  
ينسلون.. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدهنا هذا ما وعد  
الرحمن وصدق المرسلون.. إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم  
جميع لدينا محضرون» (يس: الآيات ٥١ - ٥٣)..

إنها الصحوة الثانية.. وكانت الصحوة الأولى هي خروج  
النفس من البدن لحظة الموت وما جرى فيها من مفاجآت.. أما هذه  
المرة فهي قيام وانتفاضة من رقدة القبر في أعقاب صيحة هائلة..  
إذا بالنفوس قد عادت أجسادا ووقفت ترتجف في ارتقاب يوم  
مهول.

«اليوم نختم على أفواههم وتتكلموا أيديهم وتشهد أرجلهم  
بما كانوا يكسبون.. ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا

**الصراط فانى يبصرون» (يس: الآية ٦٥ - ٦٦)**

إنه حساب من نوع فريد تتكلم فيه الأيدي والأرجل وتشهد  
الجوارح على صاحبها بما كانت تفعل ويحاصر المذنب فلا يجد  
مخرجا..

أما الصراط فهو حدث غيبي آخر واختبار رهيب لا نعلم عنه  
شيئا، ثم يكون الحشر الأعظم واليوم المشهود الذي يجمع له  
الناس « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود»

(هود: الآية ١٠٣)

حتى الوحوش يقول ربنا أنها تحشر «إذا الْوَحْشُوْشُ  
حُشِّرَت» (التكوير: الآية ٥)

والله وحده يعلم كيف.. ولماذا.. وهل عليها حساب.. أم أنه  
استكمال لذروة الهيئة والجلال في ذلك الموقف العظيم.

فالعذاب إذن عذابان والعقاب عقابان.. عذاب بربخى غيبي يبدأ  
من لحظة الموت وخروج النفس من الجسد وعذاب جسدي بعد  
نفحة الصور والقيامة والبعث وتجسد الأنفس من جديد في ثوبها  
الأبدى الذي لا يبلى ولا يموت.. ويكون بعد الحساب ويستمر  
أبداً.. فالداخلون النار لا يخرجون منها «وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ» (البقرة: الآية ١٦٧)

«هذا خصمان اختصما في ربهم فالذين كفروا قطعوا لهم  
ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في  
بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا  
منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحرائق»

(الحج: الآيات ١٩ - ٢٠ - ٢١)

ومن الواضح أنه عذاب أشد من العذاب البربخى للنفوس

ساعة الموت لأنه أكثر تشخصاً ولأنه محسوس جسدياً.  
والخوض في أي تفاصيل غيبية عن عالم ما بعد الموت خارجاً  
عن نطاق القرآن هو فضول محظوظ فلا أحد يعلم عن هذا العالم  
المحظوظ شيئاً.

وأكثر الأحاديث التي تتكلم في هذه الأشياء هي إسرائيليات  
وأحاديث موضوعة أو ضعيفة السند.

والمتكلمون الذين يتساءلون.. كيف يعاقب الله عبيده على  
ذنوب محدودة في الزمن بعقاب لا محدود في الأبد.. لا ينافي  
ذلك الرحمة الإلهية.. نقول لهم إن الذنوب مع الإصرار لا تعود  
ذنوباً محدودة بل تصبح ذنوباً متصلة ملزمة لصاحبها لا ينفك  
عنها.

يقول القرآن عن المجرمين الذين سألا الله أن يردهم إلى  
الدنيا ليعملوا صالحاً

يقول ربنا ﴿وَلَوْ رَدُوا لَعَادُوا لِمَا نَهَا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾  
(الأنعام: الآية ٢٨)

وهذا علم إلهي بهذا الطراز من النقوص.. فهم أهل النار الذين  
هم أهلها.. وهم الجبارون في الدنيا الذين كانوا يقتلون البريء  
بالجملة والذين كانوا يقدمون خصومهم للسجون والمحارق  
وكانوا من أهل الإصرار حتى لحظة موتهم.

يقول ربنا عن الجبارين من أصحاب الأخدود الذين فتنوا  
المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم أحياء: ﴿قُتْلُ أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ..  
النَّارُ ذَاتُ الْوَقُودِ.. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قَعُودٍ.. وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ  
بِالْمُؤْمِنِينَ شَهُودٍ.. وَمَا نَقْمَدُ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ  
الْحَمِيدِ.. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

شهيد.. إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق» (البروج: الآيات ٣ - ١٠) والمعنى أن رحمة الله ومغفرته كانت ستحقق بهم لو أنهم تابوا في آخر لحظة قبل موتهم.

وباب التوبة مفتوح للجميع حتى ساعة الحشرجة. ويستثنى الله من العذاب الذين تابوا وأصلحوا وبينوا أى بينوا برجوعهم وبأعمالهم فيقول:

«إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم» (البقرة: الآية ١٦٠)

والمعنى أن الله فتح باب رحمته ومغفرته حتى لهؤلاء الجبابرة رغم أفعالهم إلى ساعة الحشرجة.. ولكنهم لم يرجعوا ولم يستغفروا ولم يتوبوا

لهؤلاء إذن هم أهل النار الذين هم أهلها.. فائي غرابة في أن تعود النقوس النارية إلى النار.. وإبليس من الجن وهو مثلهم مخلوق من نار السموات والنار مكانه في النهاية بحكم طبيعته.. وكل النقوس الإبليسية سوف تعود في النهاية إلى مستقرها في جهنم.. وليس في هذا ما ينافي العدل بل هو منتهي العدل.. أن تنتهي كل نفس إلى مكانها.. وأن تعود النار إلى النار.

ولو تأمل الناس في مصيرهم وفي حياتهم لأمن الكل، ولو تأملوا في دنياهم ومباهجها الفانية ولذاتها المحدودة والموت والأمراض والمعاطب والأوجاع التي تحف بها لما غرقوا فيها ولما استسلموا لدنياها وتقواها.

ولو تأملوا الموت لما تهالكوا على الحياة.

ولو ذكروا الآخرة لفروا فرارا إلى جناب ربهم.

ولكن لا أحد يتوقف ليفكر.. الكل يهروء في عجلة ليلحق بشيء وهو لا يدري أن ما يجري خلفه هو سراب ولا شيء وأن الدقائق وال ساعات والأيام تجري.. وعمره يجري.. وأخر المطاف مثواه التراب.. ولا أحد من الذين ذهبوا تحت التراب يعود ليحكى.. ونواخذ القبور تتطل على العماء.. ولا أحد رأى شيئاً.. ولا أحد يعرف شيئاً.. وستار العماء مسدل أمام الكل.. لا يرى الواحد منا إلا لحظته.

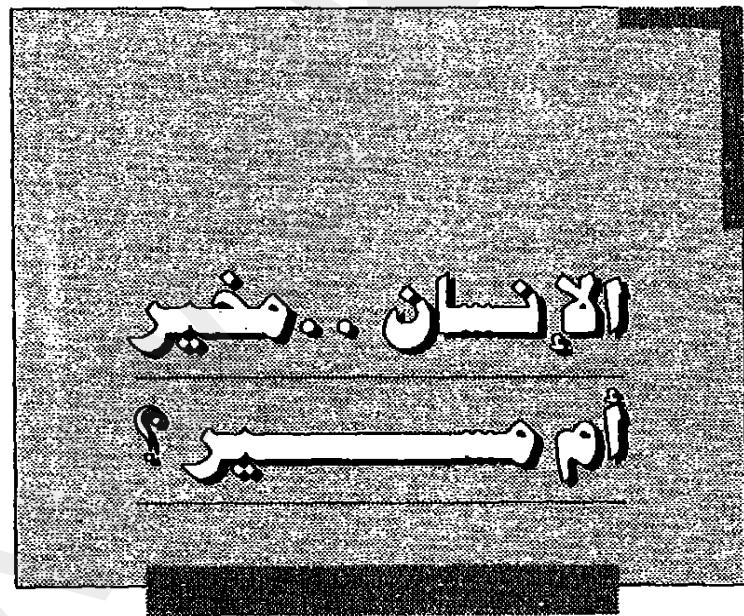
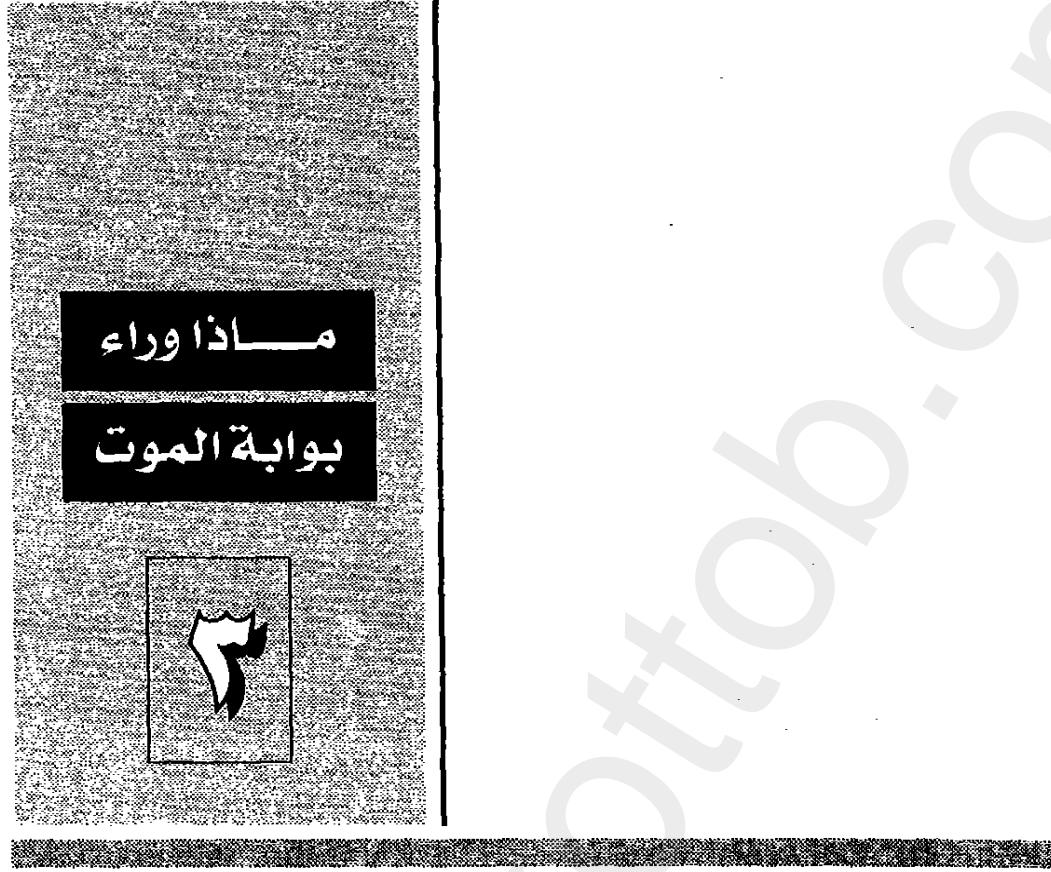
وفرصة كل منا حياته ولا توجد أمامه فرصة أخرى.. والله أعطانا العقل والبصيرة وأرسل إلينا الأنبياء والرسول.. وحضرنا بالكوارث التي تتخطف الناس من حولنا كل لحظة.. ورأينا السلطان لا يدوم ورأينا النعيم يزول ورأينا الزهور تذبل والشمس تنكسف والأرض تترنّزل.. والموت يطارد كل حي.. ورأينا أنه لا بقاء لشيء.. وأحاطت بنا النذر من كل جانب فلم يعد هناك عذر لأحد.

لكن البلاء ثقيل والحجاب كثيف والأ بصار كليلة وصدق الله العظيم فيما يقوله عن الأغلبية من المنافقين:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهُنَّ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مَقْمُحُونٌ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تَنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يس : الآيات ٨ - ١٠)

إن الله لا يريد هذه الكثرة المنافية فهي الكثرة التي سبق عليها القول بالطرد من رحمته ولذلك جعل في أعناقها الأغلال وأسدل على أبصارها غشاوة.

ونسأل الله اللطف



التساؤل عن حرية الإنسان تساؤل لا ينتهي .  
ومازلت أجد من يستوقفني في الطريق  
ويسائلني .. هل الإنسان مخير أم مسير ؟  
والذين يقرأون أكثر تساؤلاً من الذين  
لا يقرأون .

والقضية أزلية ولا ينتهي الكلام فيها ولا ينتهي الفضول إلى  
كشف أسرارها لأنها مرتبطة بحقيقة الإنسان ولغز القدر .  
وعمدة الحكم في نظرى هو ما يشعر به الإنسان في أعماقه .  
فتلك الشهادة التي تأتي من الأعماق هي برهان لا يعدله برهان  
وحجة لاتقف أمامها حجة .

والإنسان يشعر بالفعل في أعماقه أنه يختار في كل لحظة بين  
عدة بدائل وأنه ينتقي ويرجح ويفاضل ويوازن ويتخير .. وهو  
يحاسب نفسه ويحاسب الآخرين .. ويفرح إذا أصاب ويندم إذا  
أخطأ .. وكلها شواهد على أننا نتصرف انتلاقاً من بداهة مؤكدة  
بأننا أحجار مسئولون .

ونحن نرى يد السجان تمتد إلى سجينه فيضبطه في لقمه  
ويضرره ويعذبه ويعلقه من قدميه ويقهقه على ما لم يرتكب ولكن  
هل نراه يستطيع مهما استخدم من وسائل الإرهاب أن يجعل هذا  
السجين يحبه من قلبه قهرا ؟  
لا ..

## ■ الإنسان .. مخير أم مسير؟ ■

هنا تقف كل وسائل الإكراه عاجزة وسوف يظل هذا السجين حتى الموت حرا فيما يحب ويكره .. حرا فيما ينسى ويضمر .. لا يستطيع أحد أن يقتسم عليه غرفة ضميره .

حتى الشيطان لا يستطيع أن يدخل قلبك إلا إذا فتحت له الباب وصادف إغراؤه هو قلبك ولكنه لن يستطيع أن يحملك على ماتكره مهما بلغت وسائله .

وذلك شاهد آخر على أن الله أعتق القلب ، واعتق الضمير من كل وسائل الضغط والإكراه .

الاختيار إذن حقيقة .. وحرية القلب حقيقة .. وحرية النية حقيقة .

والسؤال هو عن مدى هذا الاختيار وحدوده ؟

وكيف تزداد حرية ؟

ومن هو أكثرنا حرية ؟

ثم كيف تكون هناك حرية مع مشيئة رب ، وكيف تتفق هذه الثنائية مع عقيدتنا في التوحيد ؟  
تلك هي علامات الاستفهام .

● ● ●

وبرغم قهر الظروف وكثرة الضوابط والموانع التي تحد حرية الإنسان هنا وهناك . فإن الإنسان تبقى له مساحة يتحرك فيها ويختار .. وتنتسع هذه المساحة كلما اتسع علمه .

وقد أجاب الغزالى عن هذا التساؤل الأذلى بكلمات فقال : « إن الإنسان مخير فيما يعلم ، مسير فيما لا يعلم .. أى أنه يزداد حرية كلما ازداد علما » .

وقد رأينا مصداق هذا الكلام فى حياتنا العصرية ، وشاهدنا

الإنسان الذى تزود بعلوم البخار والكهرباء ، والذرة يتجلو فى الفضاء بالطائرات ، والأقمار ويهزم الحر والبرد ويُسخر قوانين البيئة ورأينا مساحة حريته تزداد ومجال تأثيره يتضاعف . وقرأنا فى القرآن عن الذى عنده علم من الكتاب ، وكيف نقل عرش يلقىس فى طرف عين .

وقرأنا كيف عرج محمد عليه الصلاة والسلام بمدد من الله الى السموات ، وكيف جلوز سدرة المنتهى وبلغ مقام قاب قوسين أو أدنى من ربه وذلك هو مجال الحرية الذى يزداد كلما ازداد علم صاحبه والذى يبلغ أعلى المقامات بالعلم الربانى اللدنى ، وبالمدد الإلهي الإحسانى .

فالحرية حقيقة .

والاختيار حقيقة .

والناس متفاوتون فى هذه الحرية بتفاوت علمهم ، وتفاوت مقاماتهم قربا وبعدا من الله ، لأن هذه الحرية لا تأتى إلا بالله ومن الله .

فالعلم منه والسلطان منه ، والنفخة التى نقلتنا من جمادية الطين إلى إنسانية الإنسان هى نفخته الربانية ، والتطلع إلى الحرية فطرة ضمن الفطر التى فطرها الله فيينا .

وكل إنسان مفطور على اختيار الأحسن من وجهة نظره . فاما الواحد من عوام الناس فيختار نفسه ومصلحته ، وشهوته لأنه يرى بنظره القريب أن نفسه هي الأحسن بين جميع الخيارات .

واما العارف بالله فهو لا يختار إلا الله لأنه يرى بنظره البعيد أن الله هو الأحسن بين جميع الخيارات ، وهو باختياره لربه يخرج عن نفسه وعن اختياراتها ، ويسلم إرادته لخيارات الله له وذلك هو منهج الطاعة .

وهو بخروجه من نفسه يخرج من المخالفة إلى الموافقة ، ومن الثنائية إلى التوحيد ، ومن المعاندة إلى الانسياب مع الله في كافة أحواله وتقلباته .

فإذا وقع في المعصية فإنه لا يصح له أن يقول إن الله قدرها عليه : لأن الله لا يختار لنا إلا شريعته ، ولا يحب لنا إلا طاعته ، وهو العارف صاحب الدعوى الذي ادعى أنه خرج من إرادته إلى إرادة ربه .. فهو إن عصى فإن معصيته تشهد على كذب دعواه وأنه ما زال عند نفسه لم ييرج .

بل إن العارف الحق بخروجه من نفسه يخرج من منطقة الاختيار كلها ويدخل منطقة الإسلام .. الإسلام الله والمشيئة الإلهية .. فهو يجتهد في عمله لأن الله أحب له الاجتهاد ولكنه لا يحزن لخسارة ولا يفرح لنجاح ولا يأسى على فشل ، لأنه فوض النتائج إلى الله وارتضى أحكامه بلا جدل

وبخروجه من منطقة الاختيار يخرج أيضاً من منطقة المساءلة وترفع عنه المحاسبة فيكون من يوفى لهم أجراً بغير حساب وتلك هي سنة الفرقـة الناجـية .. خروج من اختيار النفس إلى اختيار رب .. وتبـرؤ من الحول والطـول .. وإسقاطـ للتدـبـير .

يقول الصوفي النفرى إلهاماً عن ربـه :

« يا عبدى ألق الاختيار ، ألق المسـاءلة الـبـتـة » .

فأهـل التـفوـيض والتـوكـل هـم أهـل الجـنة بالـتـزـكـية ، لأنـهم أـسـقطـوا اختيارـهم وعاـشـوا وفقـ الإـرـادـة الإـلهـية .

أما أهـل الاختـيار فـهم واقـفـون عندـ نـفـوسـهـم يتـخـيـرون بينـ حـظـوظـهـم ، وقدـ وـكـلـواـ أـمـرـهـم إـلـىـ عـقـولـهـمـ الـتـىـ تـخـطـئـ وـتـصـيبـ ..

فوضعوا أنفسهم مع أهل المسائلة فمن يختار يسأل .  
ومن أسقط الاختيار وأسقط التدبير لا يعود هناك مجال  
لمسائلته ، فمثلك لاتقع في حقه معصية ، لأنه أسقط مشيئته  
ضمن ما أسقط من اختيارات .

وشاهد إسقاط التدبير في حق العارف هو كماله ، فلا يكون  
مع الله إلا الكامل .. ولا يصح الادعاء بأنك مع الله وشواهد أعمالك  
تدل على أنك مع هواك وشهواتك ، فتلك تكون حجة الله عليك بأنك  
كذاب .

ولهذا لا يترك الله المؤمنين العارفين الذين يدعون أنهم من أهل  
وخاصته ، دون أن يبتليهم ويغتربهم فتلك دعوى عريضة لا يصح  
أن تقوت دون امتحان .

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَرْكِعُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يَفْتَنُونَ ،  
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَمَّا عِلِّمُنَا اللَّهَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَمْ يُعْلَمُنَا  
الْكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت : ٣، ٢ )

والعجب أن الملحدين وأهل الفكر المادي يقولون بالجبر  
والحتمية ، ثم نرى جميع تصرفاتهم أبعد ماتكون عن هذا الاعتقاد  
وكان المفترض لو كانوا صادقين في دعواهم بعدم جدوى  
الحرية الفردية ، أن يسلموها هذه الحرية لربهم المزعوم ( المادية  
الجدلية ) ولكن ما يحدث دائمًا هو العكس ، فنرى تاريخهم تاريخا  
دمويا لجباررة الحكم الفردي .. ستالين .. لينين .. منجستو .. وما  
منهم إلا مدع يتصور أنه يصنع التاريخ .. وينسى الواحد منهم  
أنه قال منذ لحظات أن المادية التاريخية هي التي صنعت له وعيه  
وعقله و موقفه .

فإذا كانت المادية التاريخية هي التي أفرزت الفن والفكر

والدين والوعي فكيف بك يا صاحبى تعود فتدعى لنفسك أنك تصنع التاريخ وأنت أحد مصنوعات هذا التاريخ إلا أن تكون قد عدت فناقضت نفسك ، وتصورت لإرادتك علوا على التاريخ المادى بما يشفع لها أن تعود فتصنع التاريخ من جديد .

وإذا كان للإرادة الإنسانية علو على التاريخ فذلك هو سبق الفكر على المادة الذى تنكروه فى (أ - ب) فلسفاتكم .  
فها أنتم قد تصورتم أنكم وضعتم الهرم على قاعدته ، ثم عدتم فقلبتموه على سنانه .

وهؤلاء هم أهل الضلال البعيد .

أما الوجوبيون والعيثيون من أهل الحياة مع الهوى واللحظة فهوئلاء يقولون إنهم اختاروا نفوسهم ، فالحياة الحقة عندهم هى أن تكون نفسك .. لاتعباً بعرف أو تقليد أو دين أو أخلاق ، وإنما تعيش لحظتك كما تحب وتهوى ، فأنت لا تملك غير لحظتك واللحظة التى تمضى لاتعود . والحق أن كلاً منهم قد اختار حيوانه ، وأطاع غريزته وأسلم لزوجته واستلهم فكرته .. فهو الآخر عبد وإن تصور أنه حر .. عبد لأنّه كثيرة تتजاذبه وتتقاسمه .. ثم أنه هو وأهله عبيد الله دون أن يدرى .. فالكل منه وإليه .

﴿ قل كل من عند الله ﴾

والكون بنواميسه وما فيه من جمال وفن وفكـر ، وحب وقوانين مادية جدلية ونظريات عيشية وجودية وأفكار فوضوية.. هو كون مخلوق الله .. وهو مظاهر من مظاهر التجلى الإلهى والمشيئة الإلهية .. فلا شيء في الكون يخرج عن مشيئة الله ، وأن خرجت بعض الأشياء عن رضاه .

والكل مسلم لله طوعاً أو كرهاً .

وإنما كل الفارق هو فارق بين عارف وجاهل .

فالعارف أدرك الحقيقة فأسلم باختياره وخرج عن نفسه طوعاً  
وحباً وكراهة وانضوى تحت المشيئة بكليته راضياً سعيداً .

والجاهل تصور أنه ليس عبداً لأحد .. وأنه لا مشيئة لأحد عليه  
وأنه اختار نفسه ( وهو ما اختار إلأحيوانه ) .

والحق أنه هو الآخر عبد خاضع دون أن يدرى .. وإنما هو  
خاضع بالكرياج ، منساق بالعصا يتصور أنه يسير إلى الأمام ،  
وهو يدور في ساقية وعلى عينيه عصابة كالثور يكبح لبطنه  
وشهواته .

وقد أخرجه جهله وعناده من القرب إلى البعد .

فلا يأهل بعد النار ولا يأهل القرب الجنة .

وإنما تكون الجنة مكافأة لعارف عرف .

ولا حرية إلا لعارف .

ولا حرية إلا بآلة ومن آلة .

ولا تأتي الحرية إلا خلعة من آلة .

إنما تأتي حرية العارف من أنه اختار ربه فخلع الله عليه حرية  
وصفاتة ، فأصبح العبد الرباني الذي يرى ببصر الله ويسمع .  
بسمع الله ويحيا ب حياته : وتلك هي الحرية القصوى التي يحرك  
بها العارف الجبال ، والتي أسرى بها محمد عليه الصلاة والسلام  
إلى المسجد الأقصى وعرج إلى السماوات وجاز الممتد ..  
والتي أحيا بها عيسى الميت .

أما التحرر بمعنى التمرد على الشرائع ، وعصيان الأمر الإلهي  
 واستباحة الأعراف الخلقية فهو مثل السباحة ضد التيار ، نهايتها  
الإنهاك والتعب ثم الغرق .

وكيف يكون الإضراب عن الطعام والشراب والتنفس حرية ، وهل تكون إلا حرية الموت أو حرية القضاء على الحرية . وكيف يكون اتباع الشهوات حرية ، والشهوات ذاتها عبودية وقيد ؟ وكيف تزداد حرية بدخولك في جاكلة جبس وخضوعك لحيوانك ؟ إنما التحرر لا يكون إلا خروجا من النفس وضروراتها واستعلاء علي هواها وشهواتها .

والعارف الذي خرج من نفسه واختار ربه هو بالمعنى العميق قد اختار حقيقته ، فهو ما خرج إلا عن نفسه الحيوانية الamarah وتلك نفس دونية طينية حكمها حكم الجسد .

أما حقيقة كل إنسان فهي نفسه العلوية الملكوتية التي هي على مثال النفحة الربانية التي أودعها الله في الجسم .

وهي المثال الذي خلقه الله في أحسن تقويم في المبدأ الأول . والعارف باختياره لربه قد اختار نفسه الحقيقية « النفس المثال التي خلقها الله في أحسن تقويم » .

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ (التين : الآياتان ٤ - ٥ )

ولقد رددنا الله إلى أسفل سافلين حينما أودع هذه النفس العلوية في الحشوة الطينية ، وابتلاها بالشهوات والحيوانية وتلك هي حياتنا الدون التي نحياها ، ولكن العارف بخروجه من هذه النفس الحيوانية يسترد شفافيته الأولى ، ويعيش نفسه الحقيقية ويكتشف نسبة الروحاني باعتباره نفحة من الله ، وهو بهذا يختار أصله وحقيقة ، يختار ربه .

إنه إذن أعلى درجات الاختيار وإن كان في الظاهر خروجا من الاختيار وإسقاطا للتدبر .

وحرية العبد بهذه الصورة لا تتنافى مع التوحيد فما أخذ العبد حريته إلا من الله ، وما جاءت حريته في أن يشاء إلا بمشيئة إلهية ودستور إلهي .. فقد أرادنا الله أحراها .. ولم نقتصر نحن هذه الحرية من الله اختلاساً .

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الإنسان : الآية ٣٠ )

ثم إن الله حينما قضى علينا قضاءه المسجل في كتابه ، فإنما قضى على كل إنسان قضاء من جنس قلبه ، ومن جنس ضميره ، ومن جنس نيته .. من أراد حرث الدنيا مهد له فيها ، ومن أراد حرث الآخرة هداه إليها .

﴿ مَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرثَ الْآخِرَةِ نُزِدَ لَهُ فِي حَرثِهِ وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرثَ الدُّنْيَا نُؤْتَهُ مِنْهَا ﴾ (الشورى : الآية ٢٠ )

﴿ إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتَكُمْ خَيْرًا مَا أَخْذَ مِنْكُمْ ﴾ (الأنفال : الآية ٧٠ )

﴿ فَامَا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَقَ بِالْحَسْنَى فَسَيِّسِرْهُ لِلْيُسْرَى ، وَامَا مَنْ بَخلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحَسْنَى فَسَيِّسِرْهُ لِلْعُسْرَى ﴾ (الليل: الآيات ٥ - ١٠ )

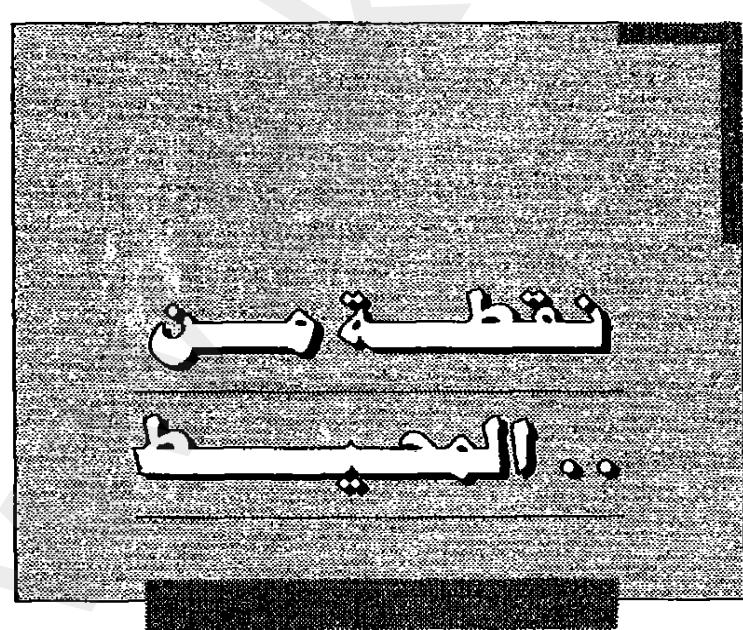
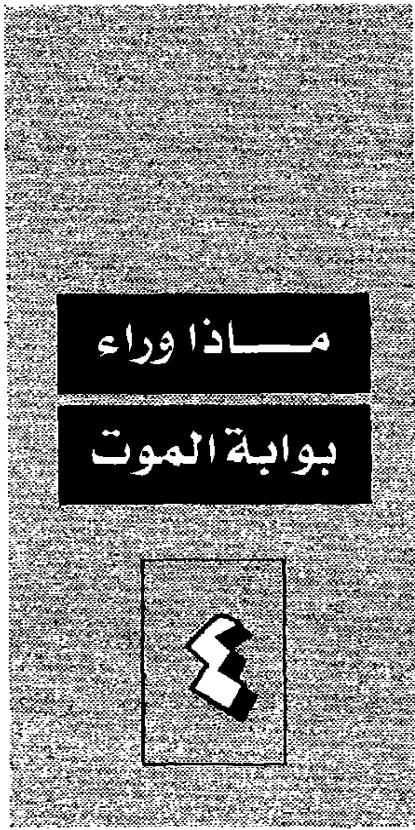
﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرْضًا ﴾ (البقرة: الآية ١٠ )

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ (محمد : الآية ١٧ )  
تأتي التيسيرات دائمًا من جنس النية .. فلا ثنائية ولا تضاد بين اختيار الرب واختيار العبد .. وإنما الإرادتان تتقيان في خط واحد وإرادة واحدة .. الله يسيرك إلى عين اختيارك ويختار لك من جنس نيتك لا تناقض ولا ضدية .

ومراد الله بهذا أن يُخرج المكتوم في القلب .

﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة : الآية ٧٢ )

ليتم الغرض من الدنيا كدار ابتلاء وامتحان .  
ويظل الله هو الحكم الأوحد بلا شبهة شريك .. فلا حرية إلا به،  
ولا تيسير ولا تمكين إلا بإذنه .  
أما خارجاً عن الله .. فلا حرية ولا حياة ولا قدرة .  
فما سوى الله نار ..  
وما سوى الله ظلمة ..  
وما سوى الله قيد ..  
وسبحان الذي أسرى بعده ..  
فلا سريان لنا إلا على جناحه .. ولا نفاذ من أقطار السماوات  
والأرض إلا بسلطانه ..  
ولا حرية إلا به .  
ولا نور إلا بنوره ..  
وهذا الاعتراف هو عين الإسلام ..  
وهو عين شهادة أن لا إله إلا الله .. أى لا حاكمية ولا سلطان  
إلا له .. تقدست اعتابه عن الند والضد ، والصاحبة والولد  
والشريك والشبيه .



فِي سَاعَاتِ الصَّفَاءِ حِينَمَا تَنْقَشِعُ الْغَوَاشِيُّ عَنِ  
الْقَلْبِ وَتَنْجَلِي الْبَصِيرَةُ ، وَأَرَى كُلُّ شَيْءٍ أَمَامَى  
بِوضُوحٍ ، تَبَدُّلِ الدُّنْيَا بِحُجمِهَا الْحَقِيقِيِّ وَبِقِيمَتِهَا  
الْحَقِيقِيَّةِ فَإِذَا هِيَ مُجْرَدُ رِسْمٍ كَرْوَكِيٍّ أَوْ دِيكُورِ  
مُؤْقَتٍ مِنْ وَرْقِ الْكَرْتُونِ أَوْ بِرُوفَةٍ تَوْزَعُ فِيهَا الْأَدْوَارُ  
لَا خِيَارٌ قَدْرَاتِ الْمُمْثَلِيْنِ ، أَوْ مُجْرَدُ ضَرْبٍ مَثَالٍ لِتَقْرِيبِ مَعْنَى بَعِيدٍ  
وَمُجْرَدُ وَهِيَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ مُجْرَدُ عَبْرَةٍ وَمَزَارٍ وَمَنْظَرٍ مِنْ  
شَبَاكِ فِي قَطَارٍ .

وَهِيَ الْغَرْبَةُ وَلَيْسَ الْوَطَنُ .  
وَهِيَ السَّفَرُ وَلَيْسَ الْمَقْرَبُ .

أَعْجَبُ تَمَامًا وَأَدْهَشُ مِنْ نَاسٍ يَجْمِعُونَ وَيَكْنِزُونَ وَيَبْثُونَ  
وَيَرْفَعُونَ الْبَنَاءَ وَيَنْفَقُونَ عَلَى أَبْهَةِ السُّكُنِ وَرِفَاهِيَّةِ الْمَقَامِ وَكَانَمَا  
هُوَ مَقَامٌ أَبْدَى وَأَقُولُ لِنَفْسِي أَنْسَوْا أَنَّهُمْ فِي مَرْوَرٍ ؟ أَلَمْ يَذْكُرْ  
أَحَدُهُمْ أَنَّهُ حَمَلَ نَعْشَ أَبِيهِ وَغَدَى يَحْمِلُ ابْنَهُ نَعْشَهُ إِلَى حَفْرَةٍ  
يَسْتَوِي فِيهَا الْكُلُّ ؟ وَهَلْ يَحْتَاجُ الْمَسَافِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ سَرِيرٍ سَفَرِيٍّ  
وَهَلْ يَحْتَاجُ الْجَوَالُ لِأَكْثَرَ مِنْ خِيمَةً مُتَنَقْلَةً ؟

وَلَمْ هَذِهِ الْأَبْهَةُ الْفَارَغَةُ ؟ وَلَمْنَ ؟ وَلَمْنَ التَّرْفُ وَنَحْنُ عَنْهُ  
رَاحْلُونَ ؟ هَلْ نَحْنُ أَغْبَيَاءُ إِلَى هَذِهِ الْدَّرْجَةِ ؟ أَمْ هِيَ غَوَاشِيُّ الْغَرَوَرِ  
وَالْغَفْلَةُ وَالْطَّمَعُ وَعَمَى الشَّهْوَاتِ وَسَعْيُ الرَّغْبَاتِ وَسَبَاقُ الْأَوْهَامِ ؟  
وَكُلُّ مَا نَفُوزُ بِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَهُمُ ، وَكُلُّ مَا نَمْسِكُ بِهِ يَنْفَلُتُ مَعَ  
الرِّيحِ .

والذين يتقاـلـون لـيـسـبـقـ الـواـحـدـ مـنـهـمـ الـآـخـرـ أـكـثـرـ عـمـىـ فـالـشـارـعـ  
سـدـعـنـدـنـهـاـيـتـهـ وـكـلـالـعـرـبـاتـ تـتـحـطـمـ وـيـسـتـوـىـ فـيـهاـ السـابـقـ  
بـالـلـاحـقـ ،ـ وـلـاـ يـكـسـبـ أـحـدـ مـنـهـمـ إـلاـ وـزـرـ قـتـلـ أـخـيـهـ .ـ بـلـ إـنـ أـكـثـرـ  
الـنـاسـ أـحـمـالـ وـأـوـزـارـاـ فـيـ هـذـهـ الدـنـيـاـ هـمـ أـكـثـرـ كـنـوزـاـ وـأـكـثـرـ ثـرـاءـ  
فـكـمـ ظـلـمـواـ أـنـفـسـهـمـ لـيـجـمـعـوـاـ وـكـمـ ظـلـمـواـ غـيرـهـمـ لـيـرـتـفـعـوـاـ عـلـىـ  
أـكـتـافـهـمـ .ـ

ولـعـلـنـاـ سـمـعـنـاـ مـثـلـ هـذـاـ الـكـلـامـ وـنـحـنـ نـلـهـتـ مـتـسـابـقـيـنـ عـلـىـ  
الـطـرـيـقـ فـهـوـ كـلـامـ قـدـيمـ قـدـمـ التـارـيـخـ رـدـدـتـهـ جـمـيعـ الـأـسـفـارـ وـقـالـهـ  
جـمـيعـ الـحـكـمـاءـ وـلـكـنـنـاـ لـمـ نـلـقـ لـهـ بـالـاـ وـلـمـ يـتـجـاـزـ شـحـمـةـ الـأـذـنـ .ـ  
وـماـزـلـنـاـ نـسـمـعـ وـلـاـ نـسـمـعـ بـرـغـمـ تـطـوـرـ أـدـوـاتـ الـاستـقـاعـ وـكـثـرـةـ  
المـيـكـرـوـفـونـاتـ وـمـكـبـرـاتـ الصـوتـ ،ـ وـلـقـطـاتـ الـهـمـسـ الـإـلـكـتـرـوـنـيـةـ مـنـ  
فـوـقـ الـفـضـاءـ وـمـنـ تـحـتـ الـثـرـىـ .ـ

وـماـزـلـنـاـ نـزـدـادـ صـمـمـاـ عـنـ إـدـرـاكـ هـذـهـ الـحـقـيـقـةـ الـبـسيـطـةـ الـواـضـحةـ  
وـكـانـهـاـ طـلـسـمـ مـطـلـسـمـ وـلـغـزـ عـصـىـ عـلـىـ الـأـفـهـامـ .ـ

هـلـ نـحـنـ مـخـدـرـوـنـ ؟ـ

أـمـ هـنـاكـ مـاـ هـوـ أـقـوـىـ أـثـرـاـ وـأـكـثـرـ شـرـاسـةـ مـنـ الـخـمـورـ  
وـالـمـخـدـرـاتـ ،ـ هـىـ مـادـيـةـ الـعـصـرـ الـتـىـ طـبـعـتـ النـاسـ بـذـلـكـ الشـعـارـ  
الـمـسـكـرـ ؟ـ شـعـارـ غـامـرـ وـاـكـسـبـ وـانـهـبـ وـاهـرـبـ وـسـارـعـ إـلـىـ الـلـذـةـ  
قـبـلـ أـنـ تـقـوـتـ وـعـشـ لـحـظـتـكـ بـمـلـئـهـاـ طـوـلـاـ وـعـرـضاـ وـلـاـ تـفـكـرـ مـاـذـاـ بـعـدـ  
فـقـدـ لـاـ يـكـوـنـ هـنـاكـ بـعـدـ .ـ

نـعـمـ تـلـكـ هـىـ الـخـدـعـةـ الـتـىـ يـسـتـدـرـجـ إـلـيـهاـ الـكـلـ أـنـهـ لـاـ شـيـءـ بـعـدـ  
وـهـىـ لـيـسـتـ خـدـعـةـ بـلـ هـىـ رـوـحـ الـفـلـسـفـةـ الـمـادـيـةـ وـيـقـيـنـهـاـ أـنـهـ  
لـاـ شـيـءـ سـوـىـ مـاـ تـرـىـ وـنـسـمـعـ وـنـذـوقـ وـنـلـمـسـ مـنـ مـادـيـاتـ ،ـ وـأـنـهـ  
لـيـسـ وـرـاءـ هـذـهـ الدـنـيـاـ شـيـءـ وـنـفـوـسـنـاـ الـأـمـارـةـ اـسـتـرـاحـتـ إـلـىـ هـذـهـ

الفلسفة لأنها تشبع لها رغائبها وتحقق لها مشتهياتها ، والحيوان في داخلنا اختارها لأنها تشبع غرائزه .

ألم يدع الصوفى الكامل أبو الحسن الشاذلى ربه متوسلاً أن يأخذه من هذه النفس فقال : « رب خذنى إليك مني وارزقنى الفناء عنى ، ولا تجعلنى مفتونا بنفسي محجوباً بحسى » وتلك النفس هي الفتنة والحجاب وهى التى أفرزت هذه الحضارة المادية وروجتها .

ألم يسأل داود ربه : « يارب كيف أصل إليك . فقال له ربه أترك نفسك وتعال » . أن يترك هذه النفس لأنها العقبة : « فلا اقتحم العقبة . وما أدرك ما العقبة . فك رقبة »

( البلد : الآيات ١١ - ١٢ )

لا انفكاك من هذه العقبة إلا بالانفكاك من طمعك . فتفكر الرقبة وتطعم المسكين وتوثر غيرك على نفسك ، ولذلك لم يطلب الإسلام من المسلم نبذ الدنيا وإنما طلب منه قمع النفس وكبحها وشکمتها لأن النفس هي الأصل والدنيا مجرد أداة لتلك النفس لتخاذل وتزهو وتتلذذ و تستمتع .

إن النفس هي الموضوع وهي ميدان المعركة ومحل الابتلاء والدنيا ورقة امتحانها ومطلوب الدين هو الارتقاء بهذه النفس والارتقاء بها من شهوات البطن والفرج ومن شهوات الجمع والاكتئاز ، ومن حمى الاستعراض والكبر والتفاخر ليكون لها معشوق أرقى هو القيم والكمالات ، ومعبد واحد هو جامع هذه الكمالات كلها .

ولأنما تدور المعركة في داخل النفس وفي شارع الدنيا حيث يتفضل الناس بمقابلتهم من الغوايات والمغريات وما تعرض

عليهم شياطينهم من خواطر السوء ومن فرص اللذة كل لحظة .  
ولم يطلب الإسلام من المسلم أن ينبذ الدنيا ، بل طلب منه أن  
يخوضها مسلحًا بهذه المعرفة فالدنيا هي مزرعته وهي مجلة  
أفعاله وصحيحة أعماله .

وقدم له فلسفة أخرى في مواجهة الفلسفة المادية قدم له  
فلسفة استمرار وبقاء فهو لن يموت ويمضي إلى عدم بل إلى  
حياة أخرى سوف تتعدد فصولاً وتمضي به كدحاً وجهاداً حتى  
يلقى ربه : « يا أيها الإنسان إنك كاذح إلى ربك كدحاً  
فملقيه » (الانشقاق : الآية ٦) .

الحضارة المادية لم تقدم للإنسان إلا الموت وحياة تمضي  
سدى وتنتهي عبثاً أما الإسلام فقد قدم للإنسان الخلود وحياة  
تمضي لحكمة وتنقل من طور إلى طور وفقاً لنواميس ثابتة من  
العدل الإلهي حيث لا يذهب أى عمل سدى ولو كان مثقال ذرة من  
خير أو شر .. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال  
ذرة شراً يره .

والاليوم تصل الحضارة المادية إلى ذروة من القوة والعلم  
وتكتمل لها أدوات الفعل والتأثير من إذاعة وتليفزيون وسيئماً  
ومسرح وكتب ومجلات وهي سواء كانت أمريكية أو سوفيتية  
 فهي لا تفتّأ تقتل العقل والروح وتحالف على الإنسان بخليها  
ورجلها ولكنها برغم كل شيء ضعيفة متاهفة واهية لأنها تقتل  
نفسها ضمن ما تقتل وتأكل كيانها ، وسوف تقتل مع بعضها  
البعض وتحارب بالمخاب والذاب وبالقنابل الذرية والقذائف  
النووية فالطمع والجشع حياتها وموتها .

وعلى رقعة صغيرة من الأرض يقف الإسلام كمنارة في بحر

لـجـي مـظـلـمـ مـتـلـاطـمـ المـوـجـ يـعـجـ بـالـبـوـارـجـ وـالـغـواـصـاتـ وـحـامـلاتـ  
الـصـوـارـيخـ وـحـامـلاتـ الرـؤـوسـ النـوـرـيـةـ .

وما أكثر المسلمين من هم في البطاقة مسلمون ولكنهم في الحقيقة ماديون اغتالتهم الحضارة المادية بأفكارها وسكنتهم حتى الأحشاء والنخاع فهم يقتل بعضهم البعض ويعيشون للبيوم واللحظة ويجمعون ويكذبون ويتفاخرون ولا يرون من الغد أبعد من لذة ساعة ، ويتكلمون بلغة سوفييتية أو لغة أمريكية ولا يعرفون لهم هوية .

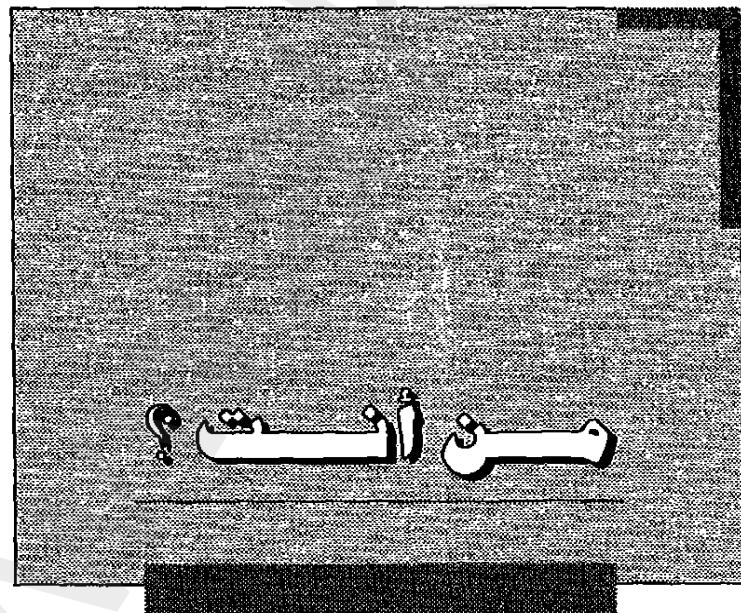
وقد نجد من يصلى منهم إلى القبلة خمس مرات في اليوم ولكن حقيقة قبليته هي فاترينة البضائع الاستهلاكية .

ولا يبقى بعد ذلك إلا قليل أو أقل القليل ممن عرف ربه . ولو  
بقي مؤمن واحد مرابط على الحق في الستة آلاف مليون فهو  
وحده أمة ترجحهم جميعا عند الله يوم تكشف الحقائق وينهدم  
مسرح العرائس ويتمزق ديكور الخيش والخرق الملوونة وتنهار  
على الكرتون التي ظنناها ناطحات سحاب وتنتهي الدنيا .

وحيثما تهتك الأستار وتقام الموازين سوف نعرف  
ما الدنيا وماذا تساوى وماذا يساوى كل الزمن حينما نضع  
أقدامنا في الأبد .

وحيينئذ سوف نتذكر الدنيا كما نتذكرة رسما كروكييا أو مسرح خيال الظل أو نموذج مثال مصنوع من الصالصال لتقريب معنى بعد بعد ومحير .

وسوف نعلم أنها ما كانت سوى النقطة التي فيها كل أملاح البحر المحيط ولكنها لم تكن أبداً البحر المحيط .



من أنت .. حينما تتردد لحظة بين الخير والشر ..  
من تكون !؟..  
أ تكون الإنسان الخير أم ، الشرير أم ما بينهما..؟!  
أم تكون مجرد احتمال للفعل الذي لم يحدث  
بعد..؟!

إن النفس لا تظهر منزلتها ولا تبدو حقيقتها إلا لحظة أن تستقر على اختيار ، وتمضي فيه باقتناع وعمد وإصرار ، وتتمادي فيه وتخلد إليه وتستريح وتتجدد ذاتها .  
ولهذا لا تؤخذ على الإنسان أفعال الطفولة ، أو أفعال المراهقة ولا ما يفعله الإنسان عن مرض أو عن جنون أو عن إكراه .. وإنما تبدأ النفس تكون محل محاسبة منذ رشدها ، لأن بلوغ الرشد يبدأ معه ظهور المرتكزات والمحاور التي ستنمو عليها الشخصية الثابتة .

وخيارات الإنسان في خواتيم حياته هي أكثر ما يدل عليه ، لأنه مع بلوغ الإنسان مرحلة الخواتيم يكون قد تم ترشح وتبلوغ جميع عناصر شخصيته ، وتكون قد انتهت ذبذبتها إلى استقرار وتكون بوصلة الإرادة قد أشارت إلى الطابع السائد لهذه الشخصية .

ولهذا يقول الصوفيون : «العبرة بالخواتيم» .. وما يموت عليه العبد من أحوال ، وأعمال وما يشغله في أيامه الأخيرة هو

ما سوف يبعث عليه .. تماما كما ينام النائم فيحلم بما استقر في  
باله من شواغل لحظة أن رقد لينام .

ولهذا أيضا لا تؤخذ النفس بما فعلته وندمت عليه ورجعت ،  
ولا تؤخذ بما تورطت فيه ثم أنكرته واستنكرته ، فإن الرجوع عن  
الفعل ينفي عن الفعل أصالته وجواهريته ويدرجه مع العوارض  
العارضة التي لاثبات لها .

وقد أعطى الله الإنسان مساحة كبيرة هائلة من المنازل  
والمراتب .. يختار منها علوا وسفلا ما يشاء .. أعطاه معراجا  
عجبيا يتحرك فيه صاعدا هابطا بلا حدود .. ففي الطرف الصاعد  
من هذا المعراج تلطف وترق الطبائع ، وتصفو المشارب والأخلاق  
حتى تضاهي الأخلاق الإلهية في طرفها الأعلى ( وذلك هو الجانب  
الروحي من تكوينه ) وفي الطرف الهابط تكشف وتغلظ الرغبات  
والشهوات ، وتتدنى الغرائز حتى تضاهي الحيوان في بهيميته ،  
ثم الحماد ( في جموده وأليته وقصوره الذاتي ) .. ثم الشيطان  
( في ظلمته وسلبيته ) وذلك هو الجانب الجسدي الطيني من  
التكوين الإنساني .

وبين معراج الروح صعودا ومنازل الجسد والطين هبوطا ،  
تتذبذب النفس منذ ولادتها ، فتتسامي هنا وتتردى هناك بين  
أفعال السمو وأفعال الانحطاط ، ثم تستقر على شاكتها  
وحققتها .

﴿ قل كل يعمل على شاكته ﴾ ( الإسراء : الآية ٨٤ )  
ومتى يبلغ الإنسان هذه المشكلة والمضاهاة بين حقيقته  
وفعله فإنه يستقر ويتمادي ، ويمضي في اقتناع وإصرار على  
خيره أو شره حتى يبلغ نهاية أجله .

ومعنى هذا أن النفس الإنسانية أو «الأنما» .. هي شيء غير الجسد .. وهي ليست شيئاً معلوماً بل هي سر وحقيقة مكونة لا يجلوها إلا الابتلاء والاختبار بالمغريات .

وما الجسد والروح إلا الكون الفسيح الذي تتحرك فيه تلك النفس علواً ، وهبوطاً بحثاً عن المنزلة التي تشكلها وتضاهيها والبرج الذي يناسب سكانها فتسكنه .. فمنا من يسكن برج النار (الشهوات) وهو ما زال في الدنيا ، فلا يبرح هذا البرج حتى الممات ، فتلك هي النفس التي تشكل النار في سرها وهي التي سبق عليها القول والعلم بأنها من أهل النار .

وذلك علم سابق عن النفوس لا يتاح إلا لله وحده ، لأنه وحده الذي يعلم السر وأخفى ، فهو بحكم علمه التام للمحيط يعلم أن هذه الحقيقة المكونة في الغيب التي اسمها فلان ، والتي مازالت سراً مستترأ لم يكشفه الابتلاء والاختبار بعد ، والتي لم تولد بعد ولم تنزل في الأرحام .. يعلم ربنا تبارك وتعالى بعلمه المحكم المحيط أن تلك النفس لن تقر ولن تستريح ولن تختار إلا كل ما هو ناري شهواني سلبي عدمي .. يعلم عنها ذلك وهي مازالت حقيقة مكونة لا حيلة لها في العدم .

وهذا العلم الرباني ليس علم إلزام ولا علم قهر ، بل هو علم حصر وإحاطة ، فالله بهذا العلم لا يجبر نفسها على شر ، ولا ينهى نفسها عن خير ، فهو يعلم حقائق هذه الأنفس على ما هي عليه دون تدخل .

فإذا جاء ميقات الخلق (وجميع الأنفس تطلب من الله أن يخلقها ويرحمها بإيجادها وهي مازالت حقائق سالبة في عالم الإمكان في العدم) أعطى الله تلك النفس اليد ، والقدم واللسان

لتضر وتنفع وأعطها ذلك الكون الفسيح الذى اسمه الروح والجسد لتمرح فيه صاعدة هابطة تختار من منازله ما يشاكلها لتسكن فيه .. فإذا سكنت واستقرت ، وتسجلت أعمالها قبضها الله إليه إلى يوم البعث والحساب المعلوم .. حيث تقرأ كل نفس كتابها.. وتعلم منزلتها فلا يعود لأحد العذر في أن يحتاج بعد ذلك حينما يضعه الله في مستقر الجنة أو مستقر النار الأبدية .

وقد أعذر الله وأنذر الجميع ، من قبل ذلك بالرسل والكتب والأيات وأقام عليهم الحجة بما وهب لهم من عقل وضمير وبصيرة، وحواس تميز الضار من النافع والخبيث من الطيب .

ولهذا حينما تطالب النفوس المجرمة في النار أن تعطى فرصة أخرى ، وأن ترد إلى الدنيا لتعمل الصالحات ، وحينما يدعى البعض أن تعذيب تلك النفوس أبداً على ذنوب مؤقتة ارتكبتها في الزمن المحدود هو أمر ظالم .

حينئذ يجيب ربنا متحدثاً عن هؤلاء المجرمين قائلاً :

﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكافرون ﴾

( الأنعام : الآية ٢٨ )

وفي هذا الرد البليغ إشارة إلى أن إجرام تلك الأنسس لم يكن ذنباً موقوتاً في الزمن .. بل إنهم ليعاودون هذا الجرم في كل زمن وبهما عاود الله خلقهم .. لأن ذلك الإجرام حقيقة مكونة ، وليس عرضاً محدوداً بالزمان والمكان .. ولهذا كان عقابه الأبد ، وليس العذاب المؤقت .

ونقول أيضاً : إن هناك عدالة عميقة كامنة في هذا المصير .. ناراً أبداً أم جنة .. إن كل نفس بينها وبين ذلك المصير النهائي مشاكلاً تامة ، ومضاهاة وائلف في الحقائق .. فالحقائق النارية

تسكن النار والحقائق النورانية تسكن الجنة .. فلا قسوة هناك ولا وحشية ، إنما وضع كل شيء في مكانه .

والسر الآخر الذي ينكشف لنا أن البيئة لا يمكن أن تصنع من إنسان صالح ( نفسه صالحة بالحقيقة ) إنسانا مجرما ولا العكس، وأن الكلام على أن مظالم المجتمع جعلت فلانا لصا ، هذا الكلام لا يصدق دينيا ولا واقعيا . فالمجتمع يضع للجريمة إطارها فقط ولكن لا ينشئ جريمة في إنسان غير مجرم .. بمعنى أن لص هذا الزمان تعطيه امكانات العصر العلمية وسائل الكترونية وأشعة ليزر ليفتح بها الخزائن ، بينما نفس اللص منذ عشرين سنة لم يكن يجد إلا طفاشة .. كما أن قاتل اليوم يمكن أن يستخدم بندقية مزودة بتلسكوب ( كما فعل قاتل كنيدى ) بينما هو في أيام قريش لا يجد إلا سيفا ، ثم قبل ذلك بعدهة قرون لا يجد إلا عصا ، ثم قبل ذلك على أيام قابيل وهابيل لا يجد إلا الحجارة .

إن المجتمع والعصر والظروف تصنع للجريمة شكلها ، ولكنها لا تنشئ مجرما من عدم ، ولا تصنع إنسانا صالحا من نفس لاصلاح فيها .

وبالمثل لا يستطيع الآباء بحسن تربيتهم أن يقلبا الحقائق فيخلقان من ابنهما المجرم ابنًا صالحا ولا العكس .

ونجد في سورة الكهف حكاية عن غلام مجرم كافر ، أبواء مؤمنان :

﴿ وَأَمَّا الْغَلَامُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنُينَ فَخَشِينَا أَنْ يَرْهَقْهُمَا طَغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ ( الكهف : الآية ٨٠ )

وبعض الأنبياء كانوا من آباء كفرا ، واستجابت أكثر الأقوام لهؤلاء الأنبياء ولم يستجب الآباء .

من الذي يستطيع أن يقلب حقائق الأنفس ويغيرها ؟ لا أحد سوى الله وحده .

والله لا يفعل ذلك إلا إذا طلبت النفس ذاتها أن تتغير وابتهلت من أجل ذلك ، لأنه واثقنا جميعا على الحرية التامة وعلى أنه لا إكراه في الدين .. وأن من شاء أن يكفر فليكفر ، ومن شاء أن يؤمن فليؤمن .. وأنه لن يقهر نفسا على غير هواها .. وأنه لن يغير من نفس إلا إذا بادرت بالتغيير وطلبت التغيير :

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾  
( الرعد : الآية ١١ )

وذلك هي التزكية :

﴿ ولو لا فضل الله عليكم ورحمته مازكي منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء ﴾ ( النور . الآية ٢١ )  
وعلى الإنسان أن يبدأ بتزكية نفسه وتطهيرها :  
﴿ قد أفلح من زakah ، وقد خاب من دساهها ﴾

( الشمس : الآياتان ٩ : ١٠ )

﴿ ومن تزكي فلأنما يتزكي لنفسه ﴾ ( فاطر : الآية ١٨ )  
ولا سبيل إلى تطهير النفس وتزكيتها إلا بإتقان العبادة والتزام الطاعات ، وإطالة السجود و فعل الصالحات .

وبحكم رتبة العبودية يصبح الإنسان مستحقا للمدد من ربه .  
فيتمدّه الله بنوره ويهيء له أسباب الخروج من ظلمته .

وذلك هو سلوك الطريق عند الصوفية بالتخلية ( تخلية النفس من الصفات المذمومة ) ثم التخلية ( تحلية القلب بالذكر والفضائل ) والتعلق والخلق والتحقق .

والتعلق عندهم هو التعلق بالله وترك التعلق بما سواه والخلق

## ■ من أنت؟ ■

هو محاولة التخلّى بأسمائه الحسنى ، الرحيم والكريم والودود والرؤوف والطليم والصبور والشكور .. قوله وفعله .

والتحقق هو أن تصل إلى أقصى درجات الصفاء واللطف والمشاكلاة ، فتصبح ربانيا في طباعك أو تقاد .

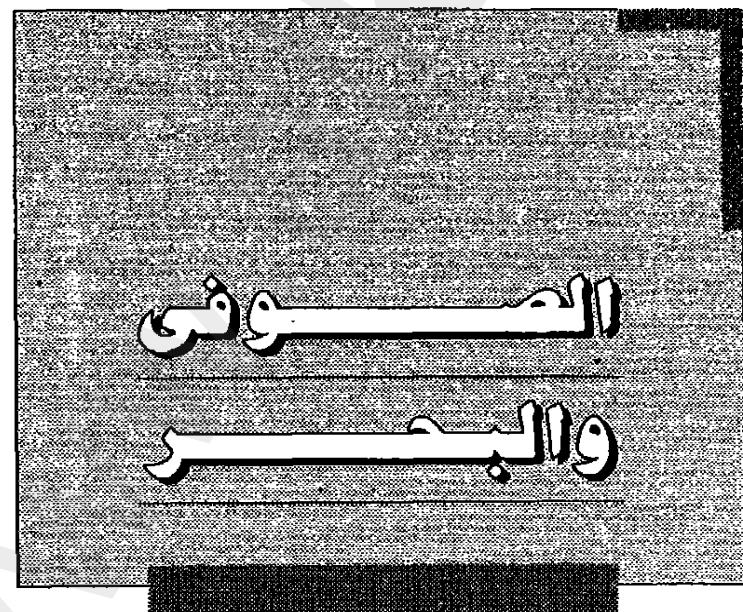
ولا سبيل إلى صعود هذا المدرج إلا بالعبادة والطاعة والعمل الصالح ، والتزام المنهج القرآني والسلوك على قدم محمد العبد الكامل ، والعارف الكامل عليه صلوات الله وسلامه .

والذى يعلق على هذا الكلام فيقول :

قولك عن النفس إنها « السر » هو كلام أغمضت فيه ، وألغرت وحجبت وما كشفت .

أقول له إن نفسا فيها القابلية للحركة على جميع تلك المعارج صعودا ، وهبوطا ، وفيها القابلية أن تكون ربانية أو شيطانية أو حيوانية أو جمادية .

نفس بهذه الامكانيات هي « السر الأعظم » ذاته ، ومن ادعى أنه أدرك السر الأعظم !!  
إن هي إلا أصابع تشير .  
والمشار إليه لا يعلم إلا الله .  
ونحن جميعا لا نعلم .



مد الرجل ساقيه فى استرخاء لذىذ، ونظر إلى البحر المدى الأزرق كأنه يشربه ويشرب لونه.  
وترك روحه ترпض من هذه الشفافية اللؤلؤية  
والأنوار المتشعة الذائبة فى المياه.

شىء ما فى ذلك البحر كان يبدو لعينيه. وكأنه من وراء العقل ومن وراء الحس.. شىء كالغيب، يسطع خلال المظاهر.

وتذكر كلمات ذلك الصوفى الذى قال إنه اشتاق إلى ربه، وأنه احترق إليه شوقا، وكاد عقله يهلك عجزا عن بلوغه لو لا أن نور الله كان يلوح له من وراء أستار الغيب، ومن خلال الجمال المتجلى فى الوجود فiero ظماء بين الحين والحين.

وذلك هو الشرب والسكر الذى يحكى عنه الصوفية.

شرب الجمال المتجلى فى الوجود.

ذلك الشرب المغيب الذى يترك الروح نشوانة.. هيمانة.. تهتف:  
الله.. الله.

وقد أدرك صاحبنا فى جلسته أمام البحر لأول مرة ذلك المعنى البعيد الذى حكى عنه.. الصوفية.. وشعر بذلك الشرب المغيب.. وهتفت روحه النشوانة، وقد أدركت طرفا من تلك الحضرة الإلهية المتجلية فى الأشياء.. هتفت هيمانة سكرانة.. الله.  
لقد اتصلت روحه لأول مرة بنبع الحسن، ومصدر الفتنة وسر

الجال والجمال فى الأشیاء.. وبasher تلك الرجفة الكهربائية وأحس بتلك الرعشة الروحية وهو يلامس السر السارى فى الوجود وفي نفسه.

وذلك هو حضور المحبوبة المعشوقة التى كان يسأل عنها المحب الهيمان طوال الوقت، ويبحث عنها ويرتحل إليها وهى طوال الوقت معه دون أن يدرى.. فى سواد عينيه.. وفي حنایا ضلوعه.. وأقرب إليه من حبل الوريد..

ومن عجب أنى أحبن إليهم و

وأسأل عنهم من أرى وهم معى

وترصدhem عينى وهم فى سوادها

ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعي  
فما كان الحسن والجمال والفتنة التى لمع طرفا منها فى الشفاه والخدود والقدود إلا مددًا من ذلك الغيب المغيب، ولا كان إلا تجلیا لذات الحسن المتفردة.. «الذات الإلهية» التى هى أقرب إلىه من نفسه وأقرب إلى عينيه من سوادهما، وأقرب إلى لسانه من نطقه.

إن ليلاه فيه .. وهو يقطع البوادي بحثا عنها. «وذات الحسن المتفرد» التى أفاضت من حسنها البديع على كل شيء.. أقرب إليه من حبل وريده، وأوثق اتصالا به من دمه فى شرايينه.

وحينما يدرك الصوفى بذلك يصيّبه برد السلام، ويهدا فى جوانحه طائر القلب، وتنشر عليه السكينة لوعها، ويصبح صاحب الوجه النورانى، والنفس المطمئنة التى لا تزلزلها الزلازل ولا تحرکها التوازل.

شعر صاحبنا بتلك الأنوار وهو جالس أمام البحر، وأمامه

قطف من عنب مثلى.. ورأى كل حبة عنب وكأنها تختزن داخلها نوراً.. وحينما ذابت في فمه برداً وحلوة شعر كأنما تعطيه سرها وتبوح له بمكtronها.. وكان في تذوقه لحلوتها شيء كالعبادة.. وكأنما كان ربه هو الذي يطعمه ويستقيه مباشرة، وبدون وساطة ويناله من كفه الرحمانية ليأكل ويشرب..

وتذكر قول عميد العشاق الإلهيين ابن الفارض  
شربنا على ذكر الحبيب مدامـة

سكتنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فوصف الشاعر خمراً للكرم من قبل أن يخلق الكرم. وتلك هي خمر السر المودع في الأشياء من قبل أن تخلق الأشياء تلك هي خمر (فإذا نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) .. خمر الأنوار الموعدة في الأشياء. وكل مؤمن ما زال يعاود السجود مثل الملائكة كلما استشعر هذه الأنوار.. وكلما باشر سرها وذاق حلواتها سجدت جوارحه وهتفت نفسه.. الله.. الله..

وشوش له البحر بهذه الكلمات، وكشفه بتلك الأسرار وهو يهدده بأمواجه، ويتناثر كحبات الماس على وجهه وساقيه. وبقدر ما كانت صفة البحر تبدو له هادئة ساكنة مطمئنة.. كان باطن البحر يقول له.. باطلي وسع العالمين.. وسع الحياة والموت.. وسع كل شيء علما.

كان البحر أشبه بالرمز المهموس، والإشارة الدالة والمثل المضروب على القدرة:

﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾  
(النور: الآية ٥)

ذلك هو الضوء في المصباح واللؤلؤة في الصدفة، والروح في الإنسان، والجمال في البحر، وتلك هي النفخة التي تدل على النافخ **﴿ يكاد زيتها يتضيء ولو لم تمسسه نار ﴾**.

فالزيت يسرى فيها من الذات المباركة التي تضيء بذاتها بدون حاجة إلى نار تشعلها.. الذات التي نورها مصدر كل الأنوار.. وتلك هي الشجرة المباركة المنزهة عن الجهات.. فلا هي شرقية ولا هي غربية.. فهى فوق المكان والزمان ومنزهة عن الأسباب فهى تضيء بلا نار.. تلك هي الذات الإلهية المتعالية على الصور.. ومع ذلك تتجلى في كل الصور

**﴿ هو الظاهر والباطن ﴾**

ظاهر في البحر والشمس والنجوم، وفي وجوه الحسان ولكنه غيرها جميعا.

هو الظاهر سبحانه، ولكنه ليس المظاهر.

وذلك هي الفتنة التي يقع فيها المؤمن والكافر.

تقول له المظاهر الجميلة وهي تدعوه إلى نفسها بجمالها **﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾**.

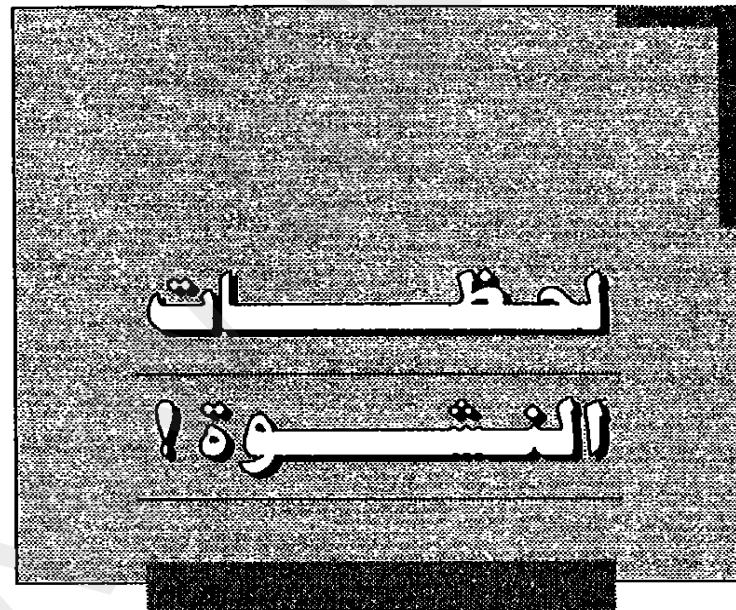
فإذا افتتن بها وقع في أسر جمالها وعبدتها، وقع في الشرك الخفي وهلك.

وذلك هو حال الأغلبية والكثرة من عشاق المظاهر وعباد المال والجاه والنساء.

وإذا أدرك أن فتنتها ليست منها ولكن من الله المتجلى فيها وأنها كالمحابي في زجاجات، ولكنها مصابيح لا تضيء بذاتها، وإنما يمدد وأسلامك من شجرة مباركة هي التي تأتى منها الإنارة لكل المحابي.. إذا أدرك ذلك تجاوز بعبادته كل المظاهر وكل

المحاسبين المنيرة، وتوجه إلى الله الذى ينيرها كلها بنوره.. وخرج من زحام الكثرة إلى صفاء الوحدة.. واختص الله وحده بالعبادة.. وإذا فعل ذلك نجا. وذلك حال القلة من العارفين. وهذا سر الدنيا.. ولهذا خلقها الله.. لتمتحن بإغرائها معادن النفوس، ويتميز بها العارف من الجاهم.. وتتميز بها المراتب والمنازل والدرجات.. ويعرف بها أهل الصدق صدقهم، وأهل الكذب كذبهم حينما تنشر الأعمال، وتهتك الأسرار فى يوم الحشر ويوم التفابين الذى لا ينفع فيه ادعاء الأدعية.. يوم يشعر كل إنسان أنه غبن نفسه حينما تعجل لذلة تافهة وزائلة لا تساوى شيئاً وحرم نفسه من ميراث جنة لا تنفذ لذائتها ووشوش له البحر.. وهمس الموج وتناثر كاللناس على وجهه وقدمييه.

واتصل السر بالسر.  
ومضى الحوار.



لا أظنتى وحدى الذى عشت تلك اللحظات  
وبشرت ذلك الشعور .. ذلك الإحساس المؤنس قد  
عاشه كل منا حينما بلغ شاطئ البحر وألقى بكل  
همومه خلفه وطرح الدنيا وراءه وألقى بنظرة شوق  
عائقت المياه الازوردية وغرقت فى لا نهاية الأفق  
واستسلمت لتلك المعية المبهمة وذلك الحضور الغيبى .. ذلك  
العنق الجميل مع المطلق .. فأنا وحدى ولست وحدى .. فمن  
وراء الزرقة الازوردية ومن خلف هممة الموج ومن وراء هذا  
الإطار البديع واللوحة المرسومة ياعجاز هناك يد الخالق المبدعة  
لكل هذا .. هناك ذات الرسام انشقت عنها الحجب واستشفها  
الوجودان واستشرفتها البصيرة .  
فكانما يدور الخطاب بين ذات الرب وذات العبد .. وكأنما  
يقولى ربى :

ليس بيّنى وببّينك بين .. ليس بيّنى وببّينك أنت .  
هذا أنا وأينما توليت فليس ثمة إلا وجهي كل شيء لى ، فكيف  
تنازعني مالى ، كل شيء لى وأنا لا شريك لى .  
حتى «الآن» وأنت تدعهَا سك .. هي لك نفحة مني أعطيها  
متى أشاء وأستردّها متى أشاء  
هي لحظة فريدة من لحظات التجدد الكامل يشعر به أصحاب  
القلوب في مواجهة الجمال .. لحظة من لحظات التبرى والتخلى

عن كل الدعاوى والمارب والأوطار .. والخضوع لصولة الجمال والجلال .

لحظة استئناره وإدراك وتنورة وتنازل وإعادة الحق لصاحبه . ارتفع الحجاب .. وما كان حجابي سوى نفسي .. سوى «الأنـا» المعاندة داخلي .. فما عادت في داخلي أنانية ولا منازعة ولا ادعاء لـحق .. فقد أعدت كل الحق لصاحبه .. الله وحده .. فالله وحده هو الحـقيق بـأن يقول : «أنا الذي هو أنا» .. إنـما أقولـها أنا على وجه الاستعارة .

﴿ فلـم تقتـلوـهم ولـكـن الله قـتـلـهـم ﴾ ( الأنـفال : الآية ١٧ )

﴿ وـما رـمـيـت إـذ رـمـيـت ولـكـن الله رـمـى ﴾ ( الأنـفال : الآية ١٧ )  
فـهـذا هو الله يـفـعـلـ على الدـوـام .. وـهـوـ الفـعـالـ لـكـلـ شـيـءـ .

وـحـينـما يـبـدوـ أنـ الطـبـيـبـ هوـ الذـىـ يـشـفـىـ وـالـطـعـامـ هوـ الذـىـ يـشـبـعـ وـالـمـاءـ هوـ الذـىـ يـرـوـىـ وـالـسـهـمـ هوـ الذـىـ يـقـتـلـ .. فـإـنـماـ هـىـ الأـسـبـابـ تـفـعـلـ فـيـ الـظـاهـرـ .. وـالـلـهـ مـنـ وـرـاءـ الأـسـبـابـ يـفـعـلـ فـيـ

الـحـقـيقـةـ .. هـوـ .. آنـهـ هـوـ دـائـمـاـ .. هـوـ .

هـوـ الذـىـ أـطـعـمـهـمـ مـنـ جـوـعـ وـآمـنـهـمـ مـنـ خـوفـ .

ولـحظـةـ الـكـشـفـ أـشـهـدـتـيـ الإـبـدـاءـ وـالـإـعـادـةـ فـيـ حـكـومـةـ التـسـفـيرـ وـمـحـتـ عنـىـ ماـ يـرـجـعـ إـلـىـ ذـاتـيـ وـمـحـتـ عنـىـ «ـالـأـنـاـ»ـ الـأـنـانـيـةـ دـاخـلـيـ .. وـرـفـعـتـنـىـ إـلـىـ ذـرـوـةـ مـعـرـفـيـةـ .. وـإـلـىـ مـقـامـ .. مـاـ ثـمـ إـلـاـ اللـهـ .

﴿ قـلـ اللـهـ ثـمـ ذـرـهـمـ فـيـ خـوـضـهـمـ يـلـعـبـوـنـ ﴾ ( الأنـعامـ : الآية ٩١ )

﴿ قـلـ إـنـ صـلـاتـيـ وـنـسـكـيـ وـمـحـيـاـيـ وـمـمـاتـيـ اللـهـ رـبـ

الـعـالـمـيـنـ ﴾ ( الأنـعامـ : الآية ١٦٢ )

انتـهـىـ فـيـ دـاخـلـيـ كـلـ مـاـ يـخـصـنـىـ فـأـنـاـ كـلـىـ اللـهـ .. مـحـيـاـيـ وـمـمـاتـيـ وـنـسـكـيـ وـصـلـاتـيـ .

أكاد أسمع صوت الله في قلبي .  
ألق الاختيار ، ألق المؤاخذة البتة .

تنزلت ساعتها عن اختياري باختياري ورضيت باختيار الله  
وأسلمت ناصيتي لربى فسقطت عن المؤاخذة وحقت لي المودة ..  
وذلك هو الإسلام الكامل .. إسلام « الآنا » لخالقها يقلبها في  
الأحوال كيف يشاء .

سقطت كل الدعاء وعادت إلى المبتدأ .. إلى الفطرة والبكارية  
الأولى .. حيث ماثم إلا هو .. وذلك مقام الفناء عند أهل الأشواق .  
وهو حظ الأفراد الكمال والأنبياء والصديقين والأبرار يعيشونه  
طوال الوقت ، أما نحن فحظينا من هذا المقام لحظة .

حظنا .. شميم .. ووقفة على العقبات ذات صباح .

يقول العارف الكامل محمد بن عبد الجبار بن الحسن التفرى :  
بداية الوقفة ألا يكون هناك « سوى » لتكون عنده وقفه . فانت  
لا تعود ترى إلا الله حيثما توجهت .

﴿ فَإِنَّمَا تُولِواْ فَثُمَّ وَجَهُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعُ عَلَيْمٍ ﴾  
( البقرة : الآية ١١٥ )

لا شيء سوى الله .

على اتساع الوجود .. لا موجود بحق إلا هو .. وإنما وجودنا  
مستعار منه ومقترض من وجوده وهو هو من فضله .  
ومن يؤتى هذا الإحساس تكون حياته كلها سكر وعداته كله  
شكراً .

يقول مولانا الشاذلى لربه مبتهلاً :  
« خذنى إليك مني وارزقنى الفناء عنى .. ولا تجعلنى محجوباً  
بحسى مفتونا بنفسى » .

إنه يريد أن يستحضر تلك اللحظات على الدوام ويعيش في هذا  
القرب طوال حياته .. ومهيات .. فهذا مقام لا ينال بالتمني ..  
ولا يبلغه إلا آحاد .. هم الذين سبقت لهم من الله الحسنة ..  
وصنعهم الله على عينه .

ومن يتذوق تلك اللحظات يشتهاها ويتشممها ويتحسسها من  
وراء الحجب والأسباب والمظاهر ويراهما في النعيم وفي العذاب  
وفي العطاء وفي الحرمان .

ويقول هذا العارف المشتاق :

ولولا سطوع الغيب في كل مظهر

لأحرقني شوقى وأهلكنى وجدى

فهو يرى ذات الحق تسطع من وراء الحجب والمظاهر تبدو له  
في كل شيء في ابتسامة الوليد وفي تفتح البرعم وفي طلة  
الفجر ، وفي حمرة الشفق ، وفي زرقة البحر ، وفي عطر الورود ،  
وفي العطاء ، وفي الحرمان ، وفي البلاء ، وفي النعيم .

وهو يقرأ مشيئة الله تعالى في الحوادث ويغض شفرة إرادته  
في مجريات التاريخ .

والعارفون الكامل كالأطفال الأطهار يحيون في انبهار دائم  
 طوال الوقت ويقولون : نحن في سعادة لو عرفها الملوك لقاتلوا  
 عليها بالسيوف .

وهي ليست سعادة السلبية والعزلة والانقطاع بل هي سعادة  
 إيجابية فاعلة ، فالكمالون منهم مثل سيدي أبو الحسن الشاذلي  
 وعبدالقادر الجزائري ونجم الدين كبرى حاربوا الصليبيين والتار  
 وقاتلوا الاستعمار في الشمال الإفريقي وفي السودان وتصدوا  
 للباطل حيث كان ولم يركنوا للعزلة ولا للتواكل .

وكان نجم الدين كبرى يقف بالحجارة العقار الذين يرمونه بالنبل .. وهو يتربم في تشوّه هاتقا : اقتلتني بالوصال أو بالفرقان.. حتى سقط في بركة من رمه ولفظ أنفاسه .  
فلم يكن يبالى على أى وجه كان في الله مقتله فهو المحب المشتاق في جميع الأحوال .

وهوؤلاء هم الأكابر الأفراد .. حظنا منهم لحظة .. وشيم حال ..  
وذكري عطرة .. و تلك هي صرافة التوحيد وتربيمة لا إله إلا الله ..  
تجدها شذرات متفرقة في الإنجيل وفي التوراة وفي تشيد  
اخناتون وفي كتاب الموتى .. وتجدها مستخلصة مجموعة مكتبة  
عميقة هائلة في القرآن وكأنما هي معزوفة سماوية أو سيمفونية  
علوية قدسية تترنم بها السطور والأيات .

وفي بحار ابن عربى وأبو حامد الغزالى وأبن الفارض وأبن  
عطاء الله تجد سكارى التوحيد من الأكابر الذين سجدوا فسجدت  
قلوبهم فلم ترتفع من سجدها حتى لفظوا أنفاسهم .. جعلنا الله  
منهم وختم لنا بالسلامة بيركتهم إنه سميع مجيب .

### التجلى الآخر

وقد يعتب على الأصدقاء الخلاصاء ويقولون لي كيف تترك  
نفسك لتغيب في السكر والوصال الصوفى وقد عهدناك صاحبا  
لدرجة الصراخ .

وأقول لهم : إنما أسكر لأصحو وأفيق وأستجمع نفسى  
وأحتشد لألتحم من جديد بهذا العالم وأصرخ فالواقع الذى نعيشه  
أمر من أن نصارعه فرادى .. إنما نصارعه بالله .. وبدون الله  
لا أمل .

وكان نبينا يقول لربه : بك أحيا وبك أموت وبك أصول وبك  
أجول ولا فخر لي .

وقد حاول جباررة روسيا لينين وستالين وغيرهما أن ينهضوا بروسيا بدون الله وبدون دين فسقطوا بها وسقطوا معها إلى الهاوية .

ومثل تجلى الله البديع والجميل فى سماواته والذى ذكرناه فى وقفة البحر .. كان تجلى الرحيم والرحمن والناصر والجبار والمنتقم فى غزوة بدر على قلة من المسلمين بلا عدة وبلا عدد فانتصروا على كثرة مسلحين بالعدة والعتاد .

﴿ وَلَقَدْ نَصَرْتُكُمْ أَنَّهُ بِيَدِكُمْ وَأَنْتُمْ أَذْلَلُهُ ﴾ (آل عمران: الآية ١٢٣)  
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَا يَأْتِكُمْ مِّثْلُ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِمُ الْبَاسِاءِ وَالضَّرَاءِ وَزَلَّلُوا حَتَّىٰ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَا تَنْصَرُ اللَّهُ إِلَّا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة : الآية ٢١٤ )  
فتجلى عليهم الله بنصره .

ويأتى النصر فى الحالين على غير المأمول فتنتصر القلة على الكثرة وتنهزم العدة والعتاد أمام الفقر العسكرى والحربي .. حتى تكون حجة الله ملزمة وحتى لا يخرج من المنتصرين من يقول : إن الخطة والتكتيك والكر والفر هو الذى أتى بالنصر .. والله هو الفاعل دائمًا فى جميع الحالات ولكنه يتخفى بالأسباب .

وما شقت عصا موسى البحر ولا ابتلعت ما يلقى السحرة من أفاع وثعابين ولا فجرت عيون الماء من الصخر .. ولكن الله هو الفاعل من وراء الأسباب وتلك مشيئته وكلمته وإنما أخفى إرادته فى «أسبابه» .

وإنما يكون التجلى أحياناً باهراً ساحراً وحالباً للألباب لينقطع الشك وما السيول والأعاصير والزلزال والبراكين والصواعق إلا جند من جنود ربك : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

## ■ لحظات النشوة ■

ولا يقنط المؤمن ولا ييأس ولا يلقى سلاحه مهما تكاثر عليه الأعداء ومهما حاصرته الهموم .. لأنه يرى قدرة الله في كل شيء.. ويرى البعوضة حاملة الملاريا مجندة ويرى الفيروس حامل الإيدز مجندًا .. ويرى الإعصار مجندًا .. والرصاصة مجندة.. ويرى مشيئة الله تفعل ولا سواها .

والصمود أمام المحال من صفات المؤمن لأنه يعلم أنه يصارع بيد الله لا بيده .. وهو لا يعرف الجبن ولا الخوف ولا الفرار .

ولهذا اقتضى الإيمان .. الابلاء .. لأن الكلام سهل ولأن كل واحد يدعى أنه مؤمن وأنه مستحق للجنة .. وقد زعم الجبابرة أمام شعوبهم حتى لحظة موتهم ، أنهم كانوا يحسنون صنعاً واعتقدوا أنهم يستحقون التمجيد والإشادة .. فلزم الابلاء حتى يصحو كل واحد على حقيقته وحتى يعلم منزلته .. والله في غير حاجة إلى الابلاء فهو يعلم منازلنا منذ الأزل . ولكننا نحن الذين يلزمونا الابلاء حتى نعرف أنفسنا واليوم استدار الزمان دورة كاملة ونوشك أن نقبل على معركة بدر أخرى ويتكاثر علينا الأعداء من خارجنا ومن أنفسنا وتتراجع حتى يصبح ظهرنا إلى الحائط.. ويجهّم علينا مستقبل مظلم .. ونعود أحوج ما نكون إلى الإيمان الصحيح والمعرفة الصحيحة بالله .. فلا سلاح حقيقي إلا هو ولا حصن إلا حصنه .

وتتجمع النذر والبشارات في الأفق .

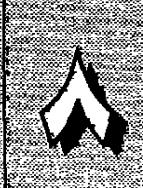
فهل نحن في مستوى الامتحان ؟

وهل نحن مؤمنون حقا ؟

هذا هو السؤال الذي سوف تجيب عنه السنوات العصيبة القادمة .

ما دا وراء

بوابة الموت



العنوان

الفيلم

ماذا تريـد مـنـا الطـبـيـعـة ..

هل كل واحد منـا جاء إلـى هـذـه الدـنـيـا بـمـهـمـة ..

وـتـكـلـيف .. وـرـسـالـة عـلـيـه أـن يـؤـديـها ؟

هل المـيـلـاد وـالـنـزـول عـلـى هـذـه الـأـرـض .. كـانـ لهـ

سـبـب وـغـاـيـة ؟

فـى بـرـيدـى كـلـ يـوـمـ أـسـئـلـةـ حـائـرـةـ مـنـ هـذـا اللـونـ .

لـمـاـذـاـ خـلـقـنـاـ .

لـمـاـذـاـ جـئـنـاـ إـلـىـ هـذـهـ الدـنـيـاـ ؟

مـاـذـاـ يـرـادـ بـنـاـ أـنـ نـفـعـلـ ؟

هـلـ لـوـجـوـدـنـاـ حـكـمـةـ وـسـبـبـ وـغـاـيـةـ ؟ أـمـ أـنـنـاـ خـلـقـنـاـ لـنـمـوـتـ

وـالـمـسـأـلـةـ كـلـهـاـ عـبـثـ وـسـخـفـ كـمـاـ نـقـرـاـ فـىـ كـتـبـ فـلـاسـفـةـ الـعـبـثـ ،

وـكـمـاـ نـرـىـ فـىـ مـسـرـحـ الـلـامـعـقـولـ ؟

وـهـلـ دـورـنـاـ فـقـطـ أـنـ نـوـاجـهـ هـذـاـ السـخـفـ وـبـطـولـتـنـاـ أـنـ نـتـمـرـدـ عـلـيـهـ

وـنـتـحـدـاهـ كـمـاـ يـقـولـ كـامـوـ ؟ بـطـولـتـنـاـ أـنـ نـلـعـقـ جـراـحـنـاـ وـنـصـرـخـ ..

سـنـعـيـشـ بـرـغـمـ الـعـذـابـ وـبـرـغـمـ الـأـلـمـ ، وـنـصـطـنـعـ لـأـنـفـسـنـاـ وـهـمـاـ

وـحـلـمـاـ .

وـهـلـ تـكـوـنـ حـيـاةـ تـلـكـ التـىـ نـبـنـيـهـ عـلـىـ وـهـمـ ؟

سـؤـالـ خـطـيرـ وـكـبـيرـ .

وـالـإـجـاـبـةـ القـاطـعـةـ عـلـيـهـ تـحـتـاجـ إـلـىـ الإـحـاطـةـ الـكـامـلـةـ بـعـمـلـيـةـ

الـحـيـاةـ ، وـالـإـحـاطـةـ بـالـزـمـنـ كـلـهـ .. وـمـاـ دـارـ فـيـهـ مـنـ مـبـدـئـهـ فـيـ

الماضي السحيق إلى منتهاه في المستقبل .. في الآخرة بعد عمر طويل .

لكن تعرف لماذا قامت الحرب .. وما دورها .. لابد أن يكون لديك علم كامل بما كان يجري قبل هذه الحرب .. وما جرى أثناءها .. وما جرى بعدها .. أما إذا كنت جندياً بسيطاً في الكتيبة تتلقى أمراً وتتفذه ثم تموت فلن تكون حياتك أكثر من لحظة في هذه الحرب .. ولن تستشرف من مكانك رؤية تعرف منها القصة كلها بخباياها وأسرارها .

إن العلم عند القائل .. عند الخالق الذي يبعث بك إلى الصفوف الأولى .. وزودك بمقدمة العمر المحدودة من ستين طلقة في ستين سنة هي كل عمرك .

الخطة كلها في رأسه .. أنت يتد واحد في الخطبة .. أنت ورقة في الدوسيه .

سطور .

كلمة .

حرف .. في كتاب رائع لا تهانى اسمه الدنيا .

ولن يستطيع الحرف أن يدرك الغاية من وجوده إلا إذا أدرك الدور الذي يقوم به في السطر الذي يشترك في حروفه .. وإنما إذا أدرك المعنى الذي يدل عليه السطر في داخل المقال .. والمقال في داخل الكتاب .

لابد أن يكون عمرك هو عمر الأيد لتحضر رواية الحياة بكل فصولها وتعرق الحكاية .

أما وأنت حالك حال ممثل في مسلسلة إذاعية يطلق عليه الرصاص في الحلقة الأولى ويصوت .. فإن طلبك معرفة معنى

حياته .. يكون طلبا يتجاوز فيه حدوده .. ويطلب فيه المستحيل ..  
الجواب اليقين في هذا السؤال إذن غير ممكن .  
وكل مانستطيع أن تفعله هو أن نحدس .  
ونخمن .. ونشطح بذهننا .

ولأنا أحاول دائماً أن أقرأ الإجابة .. لا من كتاب ولا من نظرية ..  
ولا من عقيدة .

ولكنني أحاول أن أقرأ الإجابة من التاريخ نفسه .. من حكاية  
التطور .. من استقراء الطبيعة مباشرة .  
أنا أحاول أن أفهم ماذا ت يريد الحياة بنباتاتها وحيواناتها وماذا  
فعلت بهذه المخلوقات على مر العصور .  
الحياة لها حكاية .

لقد بدأت بسيطة على شكل ميكروب .. خلية واحدة تقوم بكل  
الوظائف .. تنفس وتتنفس وتتنفس وتتحرك بدون أجهزة  
متخصصة .

ثم انقسمت الخلية إلى خليتين .. وكل خلية إلى خلعتين  
وخرجت من الخلية الواحدة أعداد لا حصر لها من الخلايا .  
ثم بدأت هذه الخلايا تتجمع في قبائل وقطعان تتحرك معاً  
وتتعايش معاً .. ثم تلاصقت هذه الأعداد .. لتؤلف مخلوقات  
مركبة عديدة الخلايا ذات أجهزة متخصصة .. أقسام من خلاياماً  
للتنفس .. وأقسام للتنفس .. وأقسام للحركة .. وأقسام للإفراز ..  
ونشأ النبات والحيوان المتحور .

وبمضي الأجيال والأحقب الطويلة .. نشأت فصائل من النبات  
والحيوان .. كل منها تكيفت مع بيئتها .. نباتات الصبار في  
الصحراء اتخذت لنفسها أوراقاً ، وسيقاناً لتخزن فيها الماء ..

والحيوانات المائية اتخذت لها زعناف لتسباح .. والحيوانات البرية اتخذت لها أرجلًا لتمشى .. والحيوانات الجوية اتخذت لها أجنحة لتطير .

مرحلة بعد مرحلة .. انتقلت الحياة من الوحدة إلى التعدد .. ومن البساطة إلى التركيب .. ثم مزيد من التركيب .. وهو تركيب له غاية وأصلة .. هو سيادة الحيوان على بيئته .. وسيطرته على ظروفه .. الأجنحة أعطت الطائر القدرة على ركوب الجو والزعانف منحت الأسماك القدرة على ركوب البحر .. والأرجل منحت الدواب القدرة على الدبابة على البر .

وحينما ظهر الإنسان استطاع عن طريق عقله أن يقفز قفزة واسعة .. فهو لم ينتظر مليون سنة لتنمو له أجنحة يطير بها وزعناف يسبح بها .. وإنما اخترع الأدوات .. اخترع العربية والباخرة والطائرة والغواصة والصاروخ .. وهي أعضاء جديدة حديدية أضافها إلى بنائه وانطلق يغزو بها الكون .. ولكن مازال يجري في نفس الخط الذي كان يسير فيه الميكروب .. من الوحدة إلى التعدد « من الفرد إلى المجتمع » ومن البساطة إلى التركيب .. ومن التركيب إلى مزيد من التركيب « الاختراعات والقوى الآلية التي تزداد تركيباً وتعقيداً يوماً بعد يوم .. وبالحياة المدنية التي يعيشها والتي يتعدد فيها كل شيء بشكل مطرد .. من الكسae إلى الغذاء إلى الدواء إلى المعاملات والتنظيمات الخ .. الخ »

ومرة أخرى كان هذا التعقد يهدف إلى نفس الغاية التي هدف إليها الميكروب في تطوره .. كان يهدف إلى السيطرة على البيئة والسيطرة على الظروف .. إلى ركوب الطبيعة واستغلالها وقيادتها بدلاً من الخضوع للطبيعة والانقياد لها والتقييد بأفعالها .

كان يهدف إلى القوة والقدرة والمعرفة والوعي والحرية ويكافح في سبيل الاستمرار والبقاء وهزيمة الموت : وفي سبيل أن يكون الإنسان هو السيد .. هو القدر .

ونحن حينما نبني سداً عالياً ننظم به ماء النيل .. نحن نسير في خط التطور ... وفق الغايات العليا المكتوبة في سفر الحياة : وهي أن نسود الطبيعة وننظمها ونستغلها ونخط قدرنا وقسمتنا بأنفسنا .

الحياة إذن فيها غاية .

وهي برغم الموت .. وبرغم الألم والمرض والشيخوخة والشر والعبث .. برغم كل هذا تبدو متصلة الحلقات منطلقة إلى غايتها مكرسة فيها الزمن كلها وال الخليقة كلها جيلاً بعد جيل .

هناك مهمة ورسالة وتکلیف .. كل منا ينزل إلى الأرض وفي عنقه هذا التکلیف .. أن يضییف طوبية جديدة إلى القلعة الحصينة التي بنتها الحياة لتحصن فيها وتقود منها التاريخ وتسوس الكون والطبيعة لصالحها .

ونحن مزودون من أجل هذه المهمة بجميع الأدوات الضرورية بالعقل والإرادة والإصرار ، ومزودون بتراث من العلوم والمعارف والخبرات .

نحن الوارثون لكل هذه المعارف لكي نضییف إليها .. وipضییف الذين يأتون بعدها في سعي متصل .. لا يعني فيه الموت شيئاً .. ولا يؤدي إلى أي انقطاع .. وكأنما الإنسانية كلها .. والحياة كلها مخلوق واحد .

حتى الجماد كان له في سفر التطور شأن مماثل .. فقد خضع لنفس الناموس .. فمن ذرة الأيدروجين البسيطة المؤلفة من

الكترون واحد وبروتون واحد .. من هذه الوحدات الأولية .. ويدخلوها في علاقات .. نشأت ذرات أكثر تركيبا .. وأكثر تعقيدا .. مرة أخرى .. انتقال من البساطة إلى التركيب ومن الوحدة إلى التعدد حتى نصل إلى ذرة اليورانيوم وهي ذرة ثقيلة نشطة ترسل إشعاعا .

ومن ذرة الكربون القلقة المتعطشة إلى الاتحاد بالذرات الأخرى نشأت سلاسل المواد الهيدروكربونية وهي مواد أكثر تراكيبا وأكثر تعقدا ، حتى نصل إلى جزء البروتين الحى فنصل إلى أكثر الوحدات المادية تعقدا وتراكيبا وثقلًا .

وهناك نظرية فلكية تقول : إن كل شيء نشا من التور من هذه المادة اللطيفة المفرطة في البساطة .. هذا الإشعاع المؤلف من فتافيت مادية مفرطة في الصغر .. اسمها الفوتونات .. هذه الوحدات التي هي أصغر وحدات الكون وأسرعها حركة وأبسطها تكوينا فتافت أشعة جاما .. وبيتا والأشعة الكونية .. هذه الوحدات التقت في فضاء الكون الشاسع في مكان ما ونشأت منها تواليف هي التي أنتجت فيما بعد الألكترون والبروتون .. ومن الألكترون والبروتون تكونت ذرة الأيدروجين .. ثم سائر الذرات .. إلخ .. من البساطة إلى التركيب ثم إلى مزيد من التركيب .

هناك خط سير إذن .

الحياة ليست خبط عشواء .. ولا مصادفات ولا عبث .

والكون ليس حركة بلا وجهة .

وإنما حركة ذات وجهة .

المادة تتطور في خط سير واضح من الوحدة إلى التعدد ..

ومن البساطة إلى التركيب . ومن العجز إلى القدرة .. ومن العماء إلى الرؤية . ومن الخضوع للطبيعة إلى السيادة على الطبيعة .. وإخضاع الطبيعة .. ومن الظلام إلى النور ومن الجهل إلى المعرفة .

وقد يعود السائل فيسأل مرة أخرى .

ولماذا تكون هناك حياة من الأصل ، ولماذا يكون هناك أى اتجاه إلى السيادة على الطبيعة .

ألا يكفى أن تكون هناك طبيعة .. ما الداعي لأن تعى الطبيعة نفسها .. وتتقوى نفسها بنفسها .

والجواب أنها بهذا تحقق الحرية .

بالمعرفة والوعى والقوة والسيادة يكتشف الإنسان نفسه ويمتلك كنوز عقله .. ويسطير على الطبيعة حوله ويحقق حريته وجوده ويعرف نفسه ويعرف ربها ويبلغ السعادة .. والسعادة لا تبحث لنفسها عن سبب .. فهى دائماً غاية ذاتها .

ويعود السائل فيقول إن هذا الكلام يفسر لنا التطور والتاريخ واتجاه الطبيعة فى سيرها .. ولكنه لا يفسر وجودها لماذا وجدت من الأصل .

لماذا يكون هناك امتلاء ولا يكون هناك خلاء ، لماذا وجود لا عدم ؟

والعقاد رحمة الله له رد على هذه المعضلة . فهو يقول بأسلوبه المنطقى .. إن العدم معدوم فلا وجه للقول بوجوده أو مناقشة وجوده .

ومadam العدم معدوما فالوجود امتلاء صرف لا نهاية له ولا آخر ولا حدود .. لأن الوجود لا يمكن أن يحده سوى العدم والعدم معدوم .

### ■ المهمة الخامسة ■

فالوجود إذن لا مبدأ له ولا منتهى .. ولا يصح السؤال عن متى خلق .. ولم خلق .. فهو أبدى في الزمان ، ولم يكن معدوما ليقال .. متى خلق .. وهي حجج منطقية ترضي العقل .. ولكنها لا تشبع الشعور الذي يعاني الموت .. ويحس بدبب العدم في زحف الشيخوخة على الأوصال .

إن السؤال يفرض نفسه برغم لا معقوليته ويلح على الحواس .  
ولم كان كل هذا .

وما الحكاية .. وما القصة .

ولم بدأت .. مادام مصيرها أن تنتهي .  
هناك سر .

هناك ثغرة .. في هذا البناء المنطقي الذي بنته لنا الفلسفة .  
إن كل حجج الفلسفة تنهر أمام ضربات الموت وكأنها خيوط عنكبوت .. وكأنها كلام .. مجرد كلام .. لا يشفى ولا يشبع ..  
ولا يزن شيئاً أمام واقع مرأيم شاحن أمام الحواس .  
هذا البناء المتهاوى من المنطق لا يمسك نفسه .. وهو يكشف عن قصوره .

هناك سر .

وأنا أعتقد أن هناك أسرارا لا سرا واحدا . وأن علمنا لا يخطى كل شيء وأن عمرنا المحدود لا يمكن أن يعطى إلا لمحات محدودة من الحقيقة .. وإننا نحن جنود الكتبة التي اسمها « القرن العشرين » موقدون في مهمة محدودة تنتهي ب نهاية عمرنا ..  
ولا يمكن أن نعرف خبايا الخطة كلها .. فالخطة في رأس القائد ..  
الخالق .. ونحن مجرد بند في الخطة .. ورقة في الدossie ..  
حرف .. ولا يمكن لنا أن نحيط بالحقيقة .

## ■ المهمة الفامضة ■

الحقيقة لا تدركها إلا عين تنظر من ربوة الأبدية على الزمن كله.

كل ما أستطيع معرفته هو أن هذه الحياة ليست عبثا ولا سخفا.. وإنما هي نظام محكم له غايات .. وأننا نسير كالجيش.. لنا مسيرة .. ولنا مخطط وأنا لا أعرف المخطط كله .. وإنما أعرف القليل جدا ..

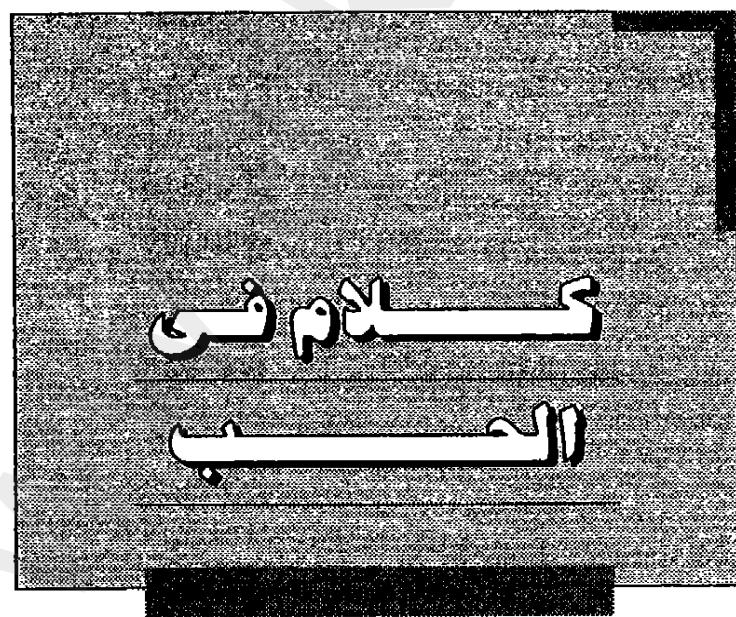
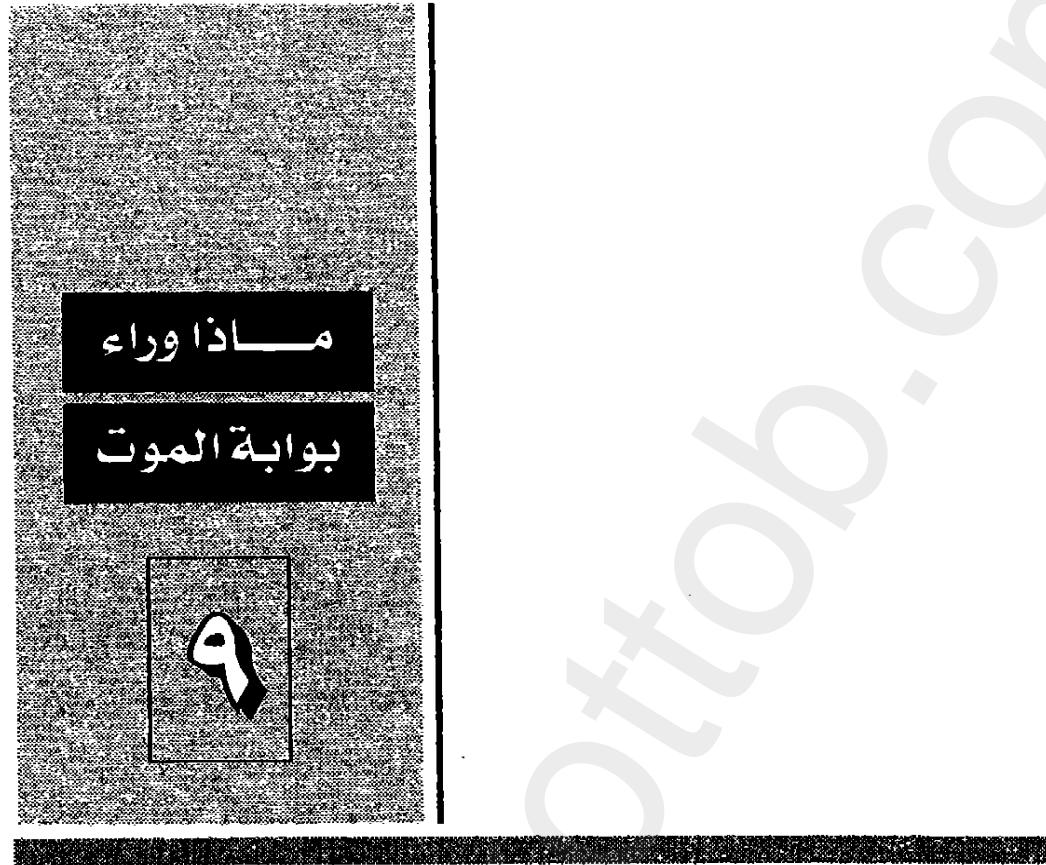
ولكن على مرور الزمن اللانهائي .. تكتشف الحياة طريقها .. وتزداد معرفتها قليلا بقليل .. فيعرف أحفادى ما لم أعرف أنا .. ويحصل مجرى العلم الذى لا يبدو أنه ينقطع أبدا بموت أحد .. وإنما هو يستمر يحفر طريقه فى الظلمة ..

ولا يوهن من عزمى أنى مووفد فى هذا الطريق فى بعثة فامضة.. ومهمة غير مفهومة .. فمئتي شرفى أنى فعلت كل ما أستطيع ..

وإذا كان كل ما وصلت إليه أن هدف هذه الرحلة هو التكامل .. تكامل القوة .. وتكامل الحس .. وتكامل السمع .. وتكامل البصر .. وتكامل العقل .. وصولا بذلك إلى معرفة الإنسان لنفسه وإدراكه لربه ومن ثم عبادته .. فإن جلال هذه الأهداف وعظمة هذه الغايات هي مبرر كاف لمشقة الطريق ..

وهل بعد الله هدف .. !!؟؟

وهل بعد الله سؤال .. !!؟؟



الحب والهوى والغرام خداع ألوان، ما نراه في  
المحبوبة مثلما نراه في قوس قزح، جمال ألوان  
قوس قزح ليس من قوس قزح نفسه ولكنه من فعل  
نور الشمس على رذاذ المطر المعلق في الهواء.. فإذا  
غابت الشمس وجف المطر اختفت الألوان وذهب  
الجمال.

وهكذا محبوبتك جمالها فيما يتجلّى عليها من خالقها.. فإذا  
انقطع عنها التجلّى شاخت ومرضت وذلت وعادت قبها  
لا جاذبية فيها.. إن ما كانت تملّكه من جمال لم يكن ملكاً لها  
بالأصلّة، بل كان قرضاً وسلفة.

حتى السجايا الحلوة والنفوس العذبة والخلال الكريمة هي  
بعض ما يتجلّى فينا من أسماء خالقنا الكريم الحليم الودود  
الرعوف الغفور الرحيم.

الليست هذه أسماؤه..؟!

وهل نحب حينما نحب إلا أسماءه حيثما تحققت وأينما تحققت.  
وهل نحب حينما نحب سوى حضرته الإلهية في كل صورة من  
صورها.

والحكيم العارف من أدرك هذه الحقيقة فاتجه بحبه إلى الأصل  
إلى ربِّه ولم يلتفت إلى الوسائل ولم يدع بهرج الألوان يعطله.. ولم  
يقف عند الأشخاص.. فهو من أهل العزائم لا تعلق له إلا بربِّه.. لقد  
وفر على نفسه خيبة الأمل وانقطاع الرجاء وخداع الألوان.

لقد أحب من لا يهجر، وعشق من لا يفتر، وتعلق بمن لا يغيب،  
وارتبط بمن لا يموت، وصاحب من بيده الأمر كله وساهم في  
البنك المركزي الذي يخرج منه النقد جميعه.. وهام بالودود حقاً  
ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً..

وذلك هو مذهب العارفين في الحب.  
فهل عرفت.

وإذا كنت عرفت.. فهل أنت بمستطاع.  
وليس كل عارف بمستطاع.

ومذهب العارفين ليس مجرد معرفة.. ولكنها همة واقتدار وكده  
ومغالبة.. والنفس لا تستطيع أن تعشق إلا ما ترى ولا أن تتعلق  
إلا بما تشهد بصراً وسمعاً وحواساً.

أما تعلق الفؤاد بالذى ليس كمثله شيء فمرتبة عليا لا يوصل  
إليها إلا بالكده والكافح والهمة.. وقبل ذلك كله.. بالتوفيق والرضا  
من صاحب الأمر كله.

ولهذا أدرك العارفون أن هذا أمراً لا يمكن الوصول إليه إلا  
ركوعاً وسجوداً وابتهالاً وعبادة وطاعة وخصوصاً وخشوعاً  
وتذلاً وتجرداً وإن هذه مرتبة لا تزال بشهادة جامعية  
ولا بмагستير أو دكتوراه، أو تحصيل عقلى.. ولكنها منزلة رفيعة  
لا مدخل إليها إلا بالأخلاق وسلامة القلب وطهارة اليد والقدم  
والعين والأذن ولا سبيل إليها إلا بخلع النعلين.

تخلع جسدك ونفسك.

وليس مقصود القوم هنا هو الزهد الفارغ والتبطل.. وإنما أن  
تخلع حظك وأنانيتك وشهوتك وطمعك وشخصاننيتك، وأن ترتد إلى  
الطهارة الأولى اللاشخصانية التي تعطى فيها وتحب دون نظر إلى  
حظ شخصى أو عائد ذاتى.. فهى حالة عمل وعطاء وبدل وليس  
حالة زهد فارغ وتبطل. وهي فى ذروتها حالة فداء وتضحيه فى

سبيل إعلاء كلمة الله.. تضحية لا تتنظر إلى نيشان أو نصب تذكاري. ولكنها تبذل المال والدم والنفس لوجه الله وحده.

ويقول العارفون إن مائدة الاستشهاد هي أعلى موائد التكريم ولا دخول إليها إلا ببطاقة دعوة من صاحبها. ولا دخول إليها اقتحاماً أو قهراً وتبيجاً.. وإنما هي دعوة من الكريم يتلقاها صاحب الحظ بالتلبية والهرولة ويتلقاها المحروم بالتكاسل والتخاذل.. والتخلف.

ذلك هو الحب في مذهب القوم وهو غير الحب في مذهب بعض منتجي أفلام السينما ومؤلفي الرومانسيات، وهو أيضاً غير الحب عند كثيرين من الناس. حيث الحب هو ونار وشهوة ولحظات تتائق بالشعر ثم ما ثبت أن تخبو وتنطفئ وتترك رماداً من الأكاذيب.

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (يوسف : الآية ٢١)

﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ (العنكبوت : الآية ٦٣)

﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ (الأنعام : الآية ١١٦)

﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظننا﴾ (يونس : الآية ٣٦)

﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ (النجم : الآية ٢٣)

﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾ (الفرقان : الآية ٤٤)

هكذا يعلمنا القرآن أن الكثرة لا تعرف أما العارفون فقليل ما هم ولكن الصحافة التي تخاطب الكثرة والسينما التي تتملق الجماهير والمؤلفين الذين يطمعون في الرواج والشعراء الذين يتبعهم الغارون يتغدون بالألوان أخرى من الحب. ويتهرون معها في أودية الغفلة التي تنتهي بنا إلى جنون قيس وانتصار جوليت وسقوط راهب تايس ومبازل فالنتينو وجرائم آل كابوني وموائد مونت كارلو.

وهو أمر قديم قدم التاريخ منذ أيام بابل، ومنذ أيام أنطونيو

### ■ كلام في الحب ■

وكليوباترة ومنذ أيام الفراعنة والإغريق والرومان.. ونقرأ في كتاب الموتى هذه السطور التي كتبها الحكيم المصري منذ خمسة آلاف عام.

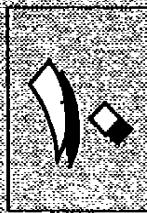
لا تنظر إلى امرأة جارك فقد انحرف ألف رجل عن جادة الصواب بسبب ذلك.. إنها لحظة قصيرة كالحلم والنندم يتبعها، إنها معارف قديمة منذ أيام آدم. وقصة بائدة منذ مقتل هابيل. ولكن لا أحد يذكر.. ولا أحد يعتبر.. ولا أحد يتعلم من الدرس. وأكثر الذين يعرفون لا تنفعهم معرفتهم بسبب ضعف الهم وتخاذل الأنفس وغلبة الشهوات.

إن السلالم إلى الأدوار العليا موجودة طول الوقت، ولكن لا أحد يكلف نفسه بصعود الدرج والأغلبية تعيش وتموت في البدرورم.

ولو كلف أحد منهم نفسه بالصعود.. وتحمل مشقة الصعود وشاهد المنظر من فوق، ليكى ندما على عمر عاشه في البدرورم بين لذات لا تساوى شيئاً ولكنه الضعف الذي ينخر في الأبدان. والبشرية تسير من الضعيف إلى الأضعف، والأجيال الجديدة أكثر ضعفاً وأكثر تهافتًا على العاجل البائد من اللذات، واقرأ المقال من أوله واسأل نفسك. من أى مرتبة من البشر أنت. هل

أنت عارف؟ وإذا كنت عارفاً. فهل أنت بمستطاع؟  
وابك ما شئت من البكاء فلا شيء يستحق أن تبكيه. لافقرك ولا فشلك ولا تخلفك ولا مرضك.. فكل هذا يمكن تداركه أما الخطيئة التي تستحق أن تبكيها فهي خطيئة بعد عن إلهك.  
فإن ضيغت إلهك.. فلا شيء سوف يعوضك.  
 وكل أحلام الشعراء لن تغريك شيئاً.

ماذا وراء  
بوابة الموت



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

سعيت وراء علماء التشريح لأعرف ما هو الإنسان.. سرت وراء المشرط وهو ينقب في الأحشاء والمصارين واللحم والعظم.. وهو يفتح القلب ويتابع الأعصاب حتى نهايتها.. وهو يقطع المخ نصفين، ثم يقطع كل نصف إلى نصفين.

وبعد ثلاثة آلاف صفحة من كتب التشريح لم أصل إلى شيء وكأنما فتحت حقيقة فوجدت داخلها حقيقة ثم حقيقة، وفي نهاية المطاف اكتشفت أنى مازلت واقفا في مكانى أدق على الباب نفسه من الخارج، لم ألج إلى الداخل قط.

كنت طول الوقت اتحسس كسوة ذلك الإنسان لاكتشف أن القناع الذى يحجبه ليس ثيابه وحدها.. وإنما جلده ثوب آخر.. ولحمه وشحمه وعظامه كلها ثياب.. أما هو نفسه فبعيد.. بعيد.. تحت هذه الأقمشة السميكة من اللحم والدم.

قالت لي كتب التشريح إن الإنسان مجموعة من الأحشاء في قرطاس من الجلد.

ولكنها لم تصف لي الإنسان على الإطلاق. وإنما وصفت ثيابه أما قلبه، أما عواطفه، فإنها ليست في تلك الكتب.. إنها فيينا نحن الأحياء.. إنها الزامر الذى ينفح من الداخل فى ذلك البوق الجسدى الذى يتالف من الفم واللسان والشفتين

واليدين والرجلين فتنطق وتتحرك كأنما هي دمى خشبية تحركها خيوط خفية من وراء خباء.

إنها العاطفة.. الإرادة.. الروح.. النفس.. الـ أناـ سمعها كما تشاء.. ولكنها دائماً غاية في الوحدة والبساطة.. وراء هذا العديد المتعدد من الأعضاء هناك وحدة هناك دائماً واحد فقط يتكلم من داخل المعمار الجسدي المعقد التركيب المتعدد النوافذ والشرفات.. واحد فقط بالرغم من هذه الآلوف المؤلفة من الأنسجة والملائين بلا عدد من الخلايا.

فإذا نظرت إلى الطبيعة حولك بما فيها من إنسان وحيوان ونبات لمست مرة أخرى نوعاً ثانياً من الوحدة.. فهذا الشتى المختلف من أشكال الحياة يخفى وراءه وحدة.

وأنت والشجرة تتالفان من المواد ذاتها.. كربون وماء وأملاح معدنية.. وكلما يتتحول بالاحتراق إلى فحم وكل أنواع الحياة تنهدم بالموت فتستحيل إلى تراب.

أكثر من هذا، يقول لك الفلكي : إن هذا التراب يحتوى على المواد نفسها التي تتركب منها الشمس والنجوم والكواكب.. وإنك مهما أوغلت في السماء بين النجوم تجد دائماً الشيء نفسه. والمواد ذاتها.. كل العالم من مادة واحدة أولية لا يمكن أن تكون كل هذه مصادفات وإنما هي أصعب تشير إلى أن هناك وحدة نسيج في هذا الكون المتسع العظيم وأنه بالرغم من الكثرة الظاهرة والتعدد والاختلاف في الأشياء فإنها في الواقع ليست مختلفة.. وإنما هي مجرد عماير وتركيب مختلف لشيء واحد.

كما تظهر الطاقة مرة على شكل كهرباء. ومرة على شكل حرارة.. ومرة على شكل ضوء. ومرة على شكل مغناطيسية وهي

## ■ يوجا ■

دائما الشيء الواحد ذاته.

الوحدة.. هذا هو موضوع اليوجا.

والمعنى الحرفي لكلمة يوجا بالهندية هو الاتحاد وإدراك الوحدة في الأشياء.

أنت وأنا وهو وهم شيء واحد.

هل تستطيع أن تدرك هذه الوحدة؟

علوم اليوجا تقول إنك لا تستطيع أن تدركها إلا إذا تحررت من تقاليدك.. وأخضعت جسدك وعواطفك وغرائزك وعقلك تماماً إذا أردت أن تسمع صوت الواحد في داخلك فلابد من إسكات صوت المتعدد أولاً.. لابد من إسكات صوت الجسد والنفس والغريزة والرغبة والعقل.

وأخضاع الجسد تختص به علوم «الهاتايوجا» وهي التمرينات الرياضية المعروفة.

وأخضاع العقل تختص به علوم «الراجايوجا».. وهي تمرينات على التأمل والتركيز.

وإذا استطعت إسكات كل شيء فسوف تسمع من أعماق الصمت في داخلك صوت الواحد.

سوف تشعر بالقرابة الحميمة بينك وبين الأشياء.. سوف يعزف في داخلك لحن الانسجام بينك وبين العالم.. إذ تدرك التوافق العميق بين عناصرك وعنابرها.. وتسودك طمأنينة قدسية فلم يعد هناك داع للتعجل.. ما يفوتك باليمنين سوف تحصل عليه باليسار وفي الهند يسمون هذا الواحد «اتمان» .. وفي «صلاة هندية قديمة لهذا الواحد يقول الشعر السنسكريتي :  
إذا ظن القاتل أنه قاتل

والمقتول أنه قتيل

فليسأ يدریان ما خفى من أساليبى.

حيث أكون الصدر لمن يموت والسلاح لمن يقتل

والجناح لمن يطير

وحيث أكون لمن يشك فى وجودى

كل شيء حتى الشك نفسه.

وحيث أكون أنا الواحد وأنا الأشياء.

وكأنما شعر جميع المفكرين بهذا الواحد الخفي. وحاول كل منهم أن يعبر عنه بطريقته.. في فلسفة شوبنهاور كان اسمه «الإرادة». وفي فلسفة نيتشيه كان اسمه «القوة» وفي فلسفة هيجل «المطلق» وفي فلسفة ماركس «المادة» وفي فلسفة برجسون «الطاقة الحية» وفي الأديان السماوية اسمه الله.

اتفقت جميع الأصابع التي تشير إلى أن هناك شيئاً داخل خباء ذلك الكون يحرك خيوطه.. وكل الخلاف هو خلاف أسماء.

ولهذا تقول علوم اليوجا.. لا تحاول أن تسمى ما لا يمكن تسميته.. تأمل.. لا تنطق بحرف.

عليك بالإصغاء إلى صوت الصمت.. ثم جاء الإسلام بأجمل وأصدق تعريف بذلك الذي وراء الصمت.. لم يخلط الخالق بالخلق كما خللت اليогا الهندية كل شيء في وحدة الوجود فجعلت من القاتل والقاتل والسكين شيئاً واحداً تضيع معه المسئولية ويضيع الجزاء في ضباب الشعر.. وإنما قدم القرآن أنقى صور التوحيد وأرقى صورة لوحدة الخالق ووحدة المخلوقات.. فتوحدوا لأنها منه.. أما هو فمتعال عليها.. سبحانه.. ليس كمثله شيء.

## السم والترياق

لكل شيء آفة من جنسه حتى الحديد سطا عليه المبرد  
الله خلق لكل شيء آفته التي تعتدى عليه.

خلق القطن وخلق دودة القطن.

خلق النباتات وخلق الجراد.

خلق الأسنان وخلق السوس.

خلق العين وخلق الرمد.

خلق الأنف وخلق الزكام.

خلق الثمرة وخلق العفن.

خلق الإنسان وخلق معه جيشاً من الأعداء لاغتياله : من  
بعوض، وديدان، وبلهارسيا، وميكروبات، وسل وجذام، وتيفود،  
وكولييرا. وخلق الحياة وخلق الحر والبرد، والصقيع ورياح  
السموم لم يرد بالدنيا أن تكون دار سلام.. وإنما دار حرب  
وصراع وبلاء وشد وجذب وكر وفر.

لأنه علم بحكمته أن حياتنا الدنيوية إذا أخلدت إلى الراحة  
والآمن والدعة والسلام ترهلت وضفت وانقرضت.

وعلم الفسيولوجيا يقول لك إن سُمَّ الميكروب يحفز النسيج  
إلى الاحتشاد.. كما تدفع لسعة البرد الدم إلى الشرايين.

إن العدوان المستمر الذي جعلته الطبيعة شريعتها في الأرض  
أراده الله لملائكته تحدياً مستمراً.. ليشحذ كل مخلوق وسائله  
ويبدع ويبتكر ويحتشد ويخرج أحسن ما يخزن من طاقات،  
ويكون دائماً على أكمل الصور الممكنة.

وبدون هذا التناقض والصراع والكافح كان مصير الحياة إلى  
ضمور وتخاذل وتكاسل ثم انقراض تدريجي.. وكما خلق لنا الله  
المرض خلق لنا الدواء في عشب ينمو تحت أقدامنا.. وفي شراب

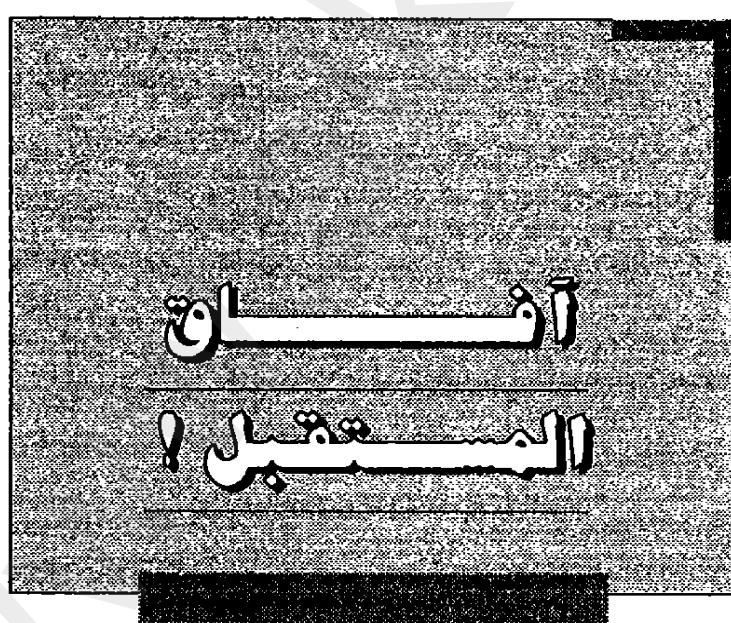
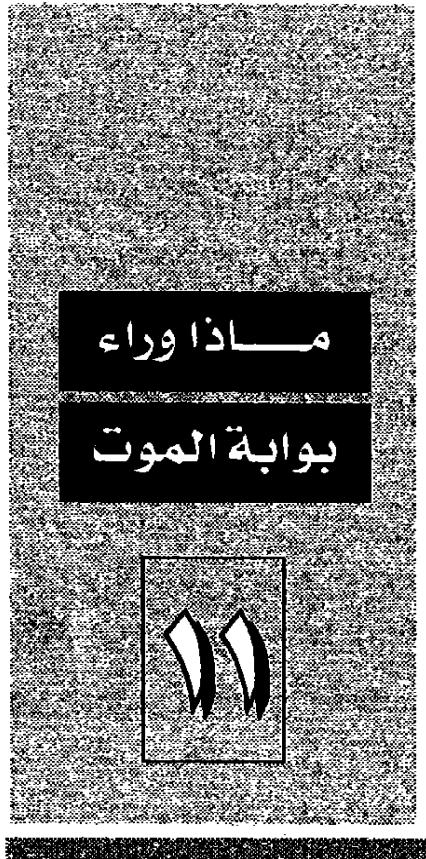
في الينابيع التي تتفجر حولنا في كل مكان.. وفي العناصر الكثيرة تحت الأرض وفوقها.. وأمدنا بالعقل الذي يبحث وينقب. وللحكمة ذاتها ألقى الله وسط الدول العربية المتاخذة المترهلة بعده شرس هو إسرائيل.. وممكن هذا الجسم الغريب ليكون حافزا إلى اليقظة والاحتشاد.

إسرائيل هي الميكروب.. هي التحدى القائم في الجسم العربي ليثبت حيويته ويُسْخِّن طاقاته ويُهَب من نومه الطويل ويرغم كل ظواهر اليأس فأنا متفائل شديد الثقة بالمستقبل فالسنن الكونية والقوانين الإلهية تعمل عملها في الكيان العربي ومانعيش فيه من كارثة أرها على العكس مظهرا من مظاهر القسانون الأزلية لتصحيف الأشياء.. إن خلافاتنا الداخلية وانقساماتنا الداخلية أشبه بالصديد الذي يتخلّف في الجراح من جراء التهاب النسيج بالسم الميكروبي والأجسام المضادة التي يفرزها. وهي مرحلة يليها تدفق الدم من النسيج المحبتق ليغسل كل شيء ثم يعقب ذلك الالتحام والشفاء.

إن الذي يجعل من واقعنا الحالى سببا لليأس لا يفهم الدنيا ولا يفهم التاريخ.

لقد تقاتلت الأمة الأمريكية قبل أن تتوحد في حرب شرسة بين شمالها وجنوبها.. وكذلك الصين.. فلم يقل أحد إنها انتهت، أو إنها كتبت وثيقة فنائها.. بل العكس هو ما حدث.. فقد كتبت بهذا الدم ميلادها.

وفي الحساب الأزلى للأرباح والخسائر.. وفي سجل التاريخ.. لا تضيع نقطة دم واحدة.. ولا تهدى ضحية.. وإنما لكل شيء دوره في صياغة النصر النهائي.. والنصر دائمًا للحق والخير.



إن التاريخ يعلمنا درساً عظيماً في التواضع.. فمن الممكن أن ننكر تماماً ولا يبقى لجسنا أثر.. وتطور وتسود الحياة أجناس أخرى يخرج لها أحفاد وارثون عقلاً، وربما يكون السادة الجدد من نسل النمل أو النحل أو الصراصير.. ومن يدري.. إن تاريخ الحياة يروى لنا حكاية سلالة عظيمة هائلة الحجم والقوة اسمها الديناصورات كان كل منها يمشي كأنه جبل يتحرك، وعاشت بدل السنة مائة مليون سنة تستمتع بهذه السيادة، ثم جاء العصر الجليدي فأهلتها لأنها لم تستطع التكيف.. لم تكن عندها وسيلة لرفع حرارة دمها سوى الجلوس في الشمس.. وحينما طمر الجليد الأرض نفقت هذه السلالة الجهنمية كالكلاب.. ولم تترك أثراً لأنها لم تجد الشمس التي تتضمن فيها.

ونحن إلى الآن لم نعمر على الأرض مائة مليون سنة كما عمرت الديناصورات. وإنما عمرنا فقط مع التجاوز ومع ضم أقدميتنا القردية المزعومة عشرة ملايين سنة.. وقد تخشم عقلكنا وذكاؤنا وتطورت أدواتنا. فأصبحت طائرات نفاثة وقنابل ذرية. فإذا لم نتقدم عاطفياً وإنسانياً بقدر ما تقدمنا عقلياً.. إذا لم نستطع أن نكون محبين مشفقين رحماء بقدر ما نحن أقوباء، فسننهك أنفسنا لا محالة.. ستلهكنا قوتنا نفسها في حرب ذرية لا رحمة فيها.. ولن تأسى لنا الحياة.. فالحياة علمتنا أنها لا تعرف

الحزن ولا الندم وأن من يموت ويترى من أبنائها عندها مليون مليون من يخلفه. وعندها من الحيل ما يفوق الأساطير.

وحينما نفني تحت وابل الدمار الذي سوف تهيل الحياة التراب فوقنا، ثم يمضى ركبها العظيم يتطور في اتجاه آخر ليلاقي إلى الأبدية بمحصول جديد من الخلائق، ولسان حالها يقول فلنجرب مرة أخرى.. إننا لسنا في عجلة فاما مامنا زمان لا نهائى نجرب فيه أمامنا الأبد كله لقد تقدمنا علميا بدرجة ملأتنا بالغرور، فها نحن نسافر إلى القمر ونرسل السفن الفضائية إلى المريخ ونصر جو الزهرة ولكننا لو تأملنا هذا التقدم العلمي لوجدناه يبعث على الحزن أكثر مما يبعث على الفرح.. إن الإنسان الذي خطأ ربع مليون ميل في الفضاء إلى القمر عجز عن خطوة طولها بضعة أميال ليعاون زملاء له يموتون بالجوع في الهند وأخرين يسحقهم الظلم في القدس وفيتنام . وأمريكا تلتقي بروسيا على سطح القمر وتعجز عن أن تلتقي بها في مجلس الأمن..

لقد اقتربت المسافات بين الكواكب والنجوم وازدادت المسافات بين الناس على الأرض بعدا !

ها نحن نتباعد عن بعضنا أكثر فأكثر كل يوم وكأننا شظايا تتناهى في الفضاء ويعجز الواحد منا أن يسمع الآخر أو يوصل إليه رأيا أو يلقي له أذنا أو يفتح له قلبا. لقد بدأ الإنسان يسيطر على الكون، ولكنه مازال عاجزا عن السيطرة على نفسه! وبقدر ما ازدادت قوة ذراعيه بقدر ما نضبت الرحمة من قلبه.

إن إنسان القرن العشرين شمشون الجسد قدم على الأرض وقدم على القمر ولكنه قزم الروح مراهق العقل يمكن أن يدمر نفسه في غرور دون أن يدرى.

## ■ آفاق المستقبل ■

إن الخروج إلى الفضاء الذي يبدو في الظاهر معجزة علمية هو في الحقيقة عملية هروب نفسية من عجز الإنسان الروحي ومشكلاته المتفاقمة على الأرض وهي عملية هروب أنيقة ولا شك.. وهي تثبت أن الإنسان مخادع ومرأوغ عبقرى يعرف كيف يغطى عجزه بثواب مادية ساطعة البريق.

وما نراه الآن حولنا يدل على أن نمو القوى المادية أسهل بكثير من نمو المحبة في القلوب، والارتفاع إلى القمر أسهل بكثير من ارتفاع الإنسان بأخلاقه ولو درجة واحدة.. إننا نرى قوة المادة وعجزها.

إن قوى الاقتصاد لا تستطيع أن تصنع لنا الإنسان الشريف النبيل مهما تحالفت بدولاراتها.. وإنما الأخلاق تنمو بالمجاهدة الشاقة بين القوى الروحية العميقة في داخل الإنسان وبصراعه الدامي مع حواجز الحيوان ونداء المعدة وعواء الجنس وإغراء القوة، وهي أمور شديدة الصعوبة وتحتاج إلى درجات عالية من الإخلاص والصدق مع النفس والمواجهة اليومية والإلتحام مع عوامل الضعف والجاج اللذة والمكاسب السهلة في كل لحظة.. وهي حرب شاقة تبدو إلى جوارها عملية الصعود إلى القمر.. عملية غاية في السهولة لأن عملية الصعود إلى القمر تعتمد على النواميس الطبيعية.. أمثال الجاذبية.. وقوى الدفع الصاروخى، وطاقة احتراق الغازات وهي جميعها سنن وقوانين طبيعية وضعها الله في ضبط وإحكام، وهي لا تخطئ أبدا لأن الله لا يخطئ في حساباته.. أما علاقات الناس والسياسات الخارجية للدول فتعتمد على المصالح والأهواء والأطماع، وهي صناعة الإنسان التالفة ونتائج نفسه المعطوبة.

والهروب من تلك النفس وعطيبها إلى فضاء الكون حيث يكون الاعتماد على قوانين الله الدقيقة، هو الأمر المأمون والسهل وهو أسهل آلاف المرات من عكوف الإنسان على نفسه ليصلاحها ويقومها.. ولكن في ذات الوقت هروب من رسالة الإنسان الأولى على الأرض فواجب الإنسان الأول على هذه الأرض.. أن يعرف نفسه ويقومها بالفکر وبالدين وبالعلم معاً يصنع الإنسان نفسه.. أما بالعلم المادى وحده وبدون إيمان وبدون خلق فلن يصنع من نفسه إلا جباراً ومسخاً عملاً مشوهاً يتنتقل بين الكواكب ويختروع أسلحة بشعة رهيبة للقتل الجماعي يدمر بها الكل ثم يدمر بها نفسه دون أن يدرى.

وقد اختارت مدنية القرن العشرين هذا الطريق السهل للتطور طريق الذرة والطاقة والكهرباء والحديد والصلب والдинاميت ونبذت الباقي معقدة بأنه غيببيات، مع أن العلم المادى نفسه غارق في الغيببيات. فما هي الكهرباء؟ وما هو الإلكتروني؟ وما هي الطاقة؟ كلها غيببيات، نحن نستخدم الكهرباء ولا نعرف كنهها ونصنع الأجهزة الإلكترونية ولا نعرف ما هو الإلكتروني، ونطلق الموجة اللاسلكية ولا نعرف ما هي الموجة اللاسلكية ولا ما شكلها.. العلم المادى لا يعرف ما هي أي شيء إنه فقط يعرف العلاقات والكميات والقوانين، ولكنه يجهل ما هي أي شيء.. إن حكاية الغيببيات هي العذر الكاذب الجاهز.

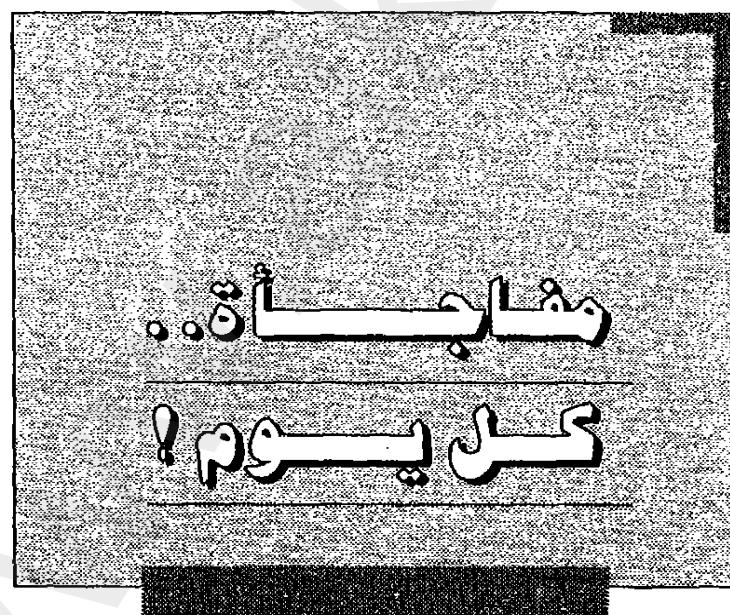
أما الحقيقة.. فهي أن الإنسان قد أثر الطريق السهل حيث لا يحتاج إلى مواجهة نفسه والإلتحام معها في جهاد عظيم مرير في سبيل إعادة خلقها.

أثر أن يلقى بنفسه في البيئة المادية محاولاً تغييرها بدلاً من أن يبدأ من نقطة الأساس.

## ■ آفاق المستقبل ■

وهو يطمئن نفسه بأنه إذا تغيرت البيئة حوله فسوف تتغير نفسه وتسمى من تلقاء ذاتها.. إنها تجربة كبرى سوف يجاوب عليها التاريخ وسوف يكذبها بل لعله قد بدأ يجاوب بالفعل.. فها نحن نرى في الناحية المادية آفاق المستقبل تبدو كلها وردية مشرقة. فها هو الإنسان قد وصل إلى القمر.. أما في الناحية الإنسانية فإن آفاق المستقبل تبدو محفوفة بالظلال والمخاطر والأشواك.

لقد بدأ نهار العلم وأخشى أن أقول.. بدأ ليل الإنسانية ومخاضها القاسي المرعب إن مصيرنا متعلق بشيء اسمه.. عقلنا.. وما سوف يشير به علينا.. وما سوف يفعله ليتكيف مع وضع القوة الجديدة الذي وضعنا أنفسنا فيه وإذا أردنا أن نعرف ما سوف تنتهي إليه خيوط المأساة التي نغزلها. فلا بد أن نعرف مزيدا عن ذلك اللغز الذي اسمه العقل.



عمر الإنسان على الأرض أكثر من مليون سنة.. ربما عشرة ملايين من السنين.. وأثاره ومخلفاته في الكهوف تدل على أنه اكتشف النار وطهى طعامه وأشعل سراجه منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة. وكانت النار أول مفتاح عرفه من مفاتيح الطاقة. اكتشفها مصادفة من انفصال الشرر حينما كان يضرب الحصى ببعضه البعض ثم مرت أكثر من ٢٠ ألف سنة أخرى، ثم عرف الكتابة بالقلم، والتقويم الشمسي وتعاقب الفصول ورصد النجوم والزراعة.. وبدأ الاستقرار وبدأت الحضارة.

ثم ألف أخرى من السنين واكتشف صناعة الورق والبوصلة والملاحة ثم اخترع العجلة والعربة الحربية والبارود.. ثم ألفا أخرى من السنين واكتشف البترول والبخار ثم بعض مئات من السنين واكتشف الكهرباء.

ثم بضع عشرات من السنين واكتشف الذرة والطاقة الذرية والالكترون.. واللاسلكي.. والراديو.

ثم أسرعت عجلة التطور وأصبح التقدم العلمي يقفز من سنة لأخرى.. الليزر.. التليفزيون.. الكمبيوتر.. الهندسة الوراثية.. السفر إلى القمر والمريخ والزهرة والمشتري وزحل وأورانوس.. ثم الخروج من المجموعة الشمسية إلى أعماق الكون.

لوحة مفاتيح الطاقة أصبحت تحتوى على أكثر من مفتاح  
وأكثر من بديل.

النار.. والفحm.. والبترول.. والبخار.. والكهرباء.. والذرة..  
والليزر.. والميكرويف.. والطاقة الشمسية.. وحرارة باطن الأرض.  
وطاقة أمواج البحر.. والطاقة الكيميائية.

ثم أصبح كل شهر يحمل مفاجأة.

ثم كل أسبوع

ثم كل يوم.

وتعددت مجالات الاختراع.

واتسعت آفاق الاكتشاف.

وتتسارعت خطوات العلم.. وتحولت إلى إيقاع لاهث مهرولا  
وتطلعت العقول إلى أكبر طاقة.. الطاقة التي تمسك النجوم في  
أفلاكها وتدفع بالكواكب في مداراتها في تسارع مذهل.

إن أي قمر صناعي يلقى به إلى الفضاء يدور حول الأرض  
بسرعة أربعين ألفا إلى سنتين ألف ميل في الساعة بدون أي نوع  
من الوقود وبدون أي نوع من المحركات وبدون أي دفع نفاث أو  
غير نفاث.

الطاقة التي تدفعه هي طاقة الجذب الكوني بين الأجسام  
(GRAVITY FIELD ENERGY) ثلاثة دول عاكلة الآن على تسخير  
هذه الطاقة.. هي أمريكا وروسيا وإسرائيل.

أقوى وأرخص طاقة في الكون.. من يسبق إلى أمتلاكها..  
سوف تكون له السيادة في هذا العصر.

هذه الطاقة هي التي تحرك الأطباق الطائرية.. إذا صدق أنها  
حقيقة وأنها تأتي إلينا من أطراف بعيدة مسكونة من الكون. ومن

يمتلكها سوف يستطيع الفرار من قبضة الأرض ليتجول حرا في أرجاء الكون بسرعات لا تخطر على بال أحد.. وبدون وقود. أما الجبهة الثانية من جيئات العلم التي سوف تحمل أكبر المفاجآت فهي الهندسة الوراثية.

وإذا قدر لعقل إن يفض شفرة الجينات ويكشف سر تواليفها فسيكون بإمكانه استنباط مخلوقات جديدة في عالم النبات والحيوان والإنسان، وسوف يتحكم في السلالات وفي أشكالها وأوصافها.

وهو طموح بعيد وغير محتمل.. لأن الجينات الموجودة في خلية واحدة لكاين واحد تحتاج لعشرات السنين لحصرها وكشف أسرارها وعلاقاتها بافتراض إتاحة كل إمكانيات السوبر كومبيوتر والحواسيب الإلكترونية الموجودة.

وما يحدث الآن هو مجرد التجريب والعبث واللعب والتشريح العشوائي لهذه الجينات.

ومع ذلك فقد استطعنا من خلال هذا التجريب تسخير الميكروبات الدنستية لصناعة الأنسولين.. واستطعنا تطبيق سلالات جديدة من النبات والثمار والحبوب.. تقاوم الأمراض والجفاف وتنمو في غير بيئاتها وتحمّل الملوحة العالية.. وهناك الجديد كل يوم في الطريق.. وهذا النجاح أطلق غرور العلماء.. وأثار خيالهم. وهم يحاولون الآن تطبيق العبرية في أنبوية اختبار.. وصناعة بيتهوفن من بويضة مخصبة بتلقيح صناعي.. وتركيب أينشتين تحت الميكروسكوب.

ولن يخرج من الأنبوة أينشتين ولكن فرنكشتين. ولن يخرج من البويضة المخصبة بيتهوفن وإنما المسيح الدجال.

ومن يدرى ربما خرجت سلالة إبليسية.. أو مخلوقات أسوأ من  
ياجوج وmajog.. أو مسوخ ومردة لا يعلم بها إلا الله.  
ونجاح العلماء فى تعديل سلالة خلية بكتيرية أو ثمرة بسلة..  
لا يعني تخليق شكسبير فى أنبوبة اختبار.. فبين خلية البكتيريا  
وخلية شكسبير ثلاثة آلاف مليون سنة فى سلم التطور.. وهى  
مسافة زمنية لا يمكن اختصارها إلى ثلث دقائق !  
ولكن العلم لا يعرف مستحيلا.

والعلماء فى عصرنا المادى لا يعرفون إلها ولا حدوداً أخلاقية  
للبحث والتجريب.. ويرون فى أنفسهم أنصاف آلهة.. والسباق  
الأنانى بين الدول قد أصاب الكل بالدوار.. وكل شيء أصبح  
جائزاً وممكناً ومتاحاً.

وموازياً لتلك الرحلة السريعة الإيقاع فى عالم الآفاق.. هناك  
رحلة أخرى أخطر وأعجوبة داخل النفس البشرية يقوم بها  
علماء من نوع آخر هم علماء الباراسيكلولوجي.

ومنذ أن اكتشف الطبيب النمساوي فرانز أنطوان مسمى  
التنويم المغناطيسي منذ مائتين وأربعين عاماً.. وهناك جيل جديد  
من علماء الباراسيكلولوجي عاكفون على البحث والتجريب فى  
أعمق النفس وقوتها الغامضة.

ظواهر نفسية مثل.. الحسد والتخارط والجلاء البصري  
والجلاء السمعي وأحلام التنبؤ واستشعار الخطر والقدرة على  
هزيمة المرض بالإرادة.. كل تلك الظواهر وغيرها كانت محل  
دراسة وتجربة وبحوث.

وحالياً هناك سباق بين مخابرات روسيا ومخابرات أمريكا  
على تجارب القتل النفسي عن بعد عن طريق التركيز وإرسال

## ■ مفاجأة.. كل يوم :

شحن نفسية شريرة عدوانية للضحية المطلوب إيقاؤها.  
وهو إحياء للسحر الأسود المعروف في أفريقيا باسم الفودو.  
هذه الرصاصة النفسية.  
أو القنبلة العقلية.

هي آخر ما يجري في الخفاء من أسرار البحث النفسي. وهي  
علوم لن تكون لها ثمرة إلا الشر المطلق. ولن تنجي إلا شياطين  
وسحرة.. ومردة جدد يقتلون بعضهم بأسلحة غير  
منظورة.

وما تفعله العين الحاسدة تلقائيا هو نوع من هذه الشرور أما  
صناعة الحسد في المعامل وتربية الإرادة الشريرة وترويضها  
واستخدامها فهو شر أسوأ.

وإن أفلح هؤلاء العلماء في ترويض تلك المواهب المرذولة  
واستخدامها.. فستكون البداية لعصر جديد من الجرائم الخفية  
والكاملة التي لا يمكن لأى شرطة ضبطها.. وبداية لسلالة بشرية  
أشبه بسلالة الجن الآبالسة تتخصص في الشر والأذى والجريمة  
الخالصة.

ولا أحسب أن الله يفتح لهم في هذا الباب إلا إذا كانت القيمة  
على الأبواب.

والي جوار هؤلاء العلماء، هناك علماء آخرون أفضل يبحثون  
في مسائل الشفاء بالإرادة وهزيمة الأمراض المستعصية  
كسرطان بإيقاظ قوى الحياة في النفس عن طريق الابتهاج  
والعبادة والدعاة.

والبعض يستخدم علوم اليوجا والثيوصوفى والتأمل  
 والاسترخاء والتركيز وجمع الهمة.

## ■ مفاجأة.. كل يوم ■

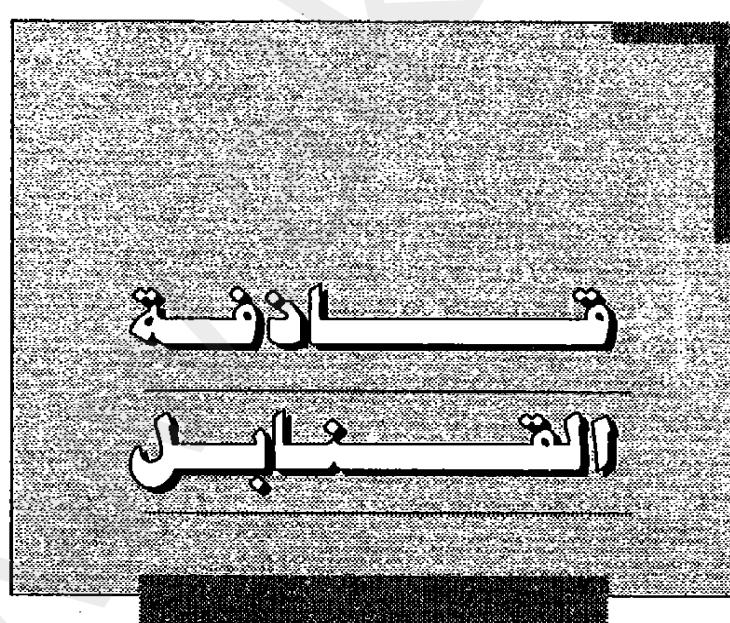
والمستقبل يحمل جنين كل هذه الإمكانيات بخيرها وشرها.  
والغد يحمل لنا كل تلك الأهوال.. وكل تلك البشائر ولا نعلم  
أيها سوف يسبق الآخر.  
ولكتها جميعا في الطريق.

وفي السنوات العشر القادمة سوف تشهد البشرية ما لم  
تشهده في كل تاريخها القديم والحديث.  
وسوف يحمل لنا التلكس أخبار الاختراقات والكشف كل  
ساعة زمان لا نعلم من سيسبق.. أخبار السياسة والحروب، أم  
أخبار العلوم والكشف؟.. وأى علوم ستسبق.. علوم الخير أم  
علوم الشر؟!!

وأظن أن الله سيعاملنا بنياتنا وقلوبنا.

وحسب ما نضرم سنكون.

ولن يظلمونا ربنا وإنما كالعادة نحن الذين سوف نظلم أنفسنا  
والعلم سلاح محايده.. إنه كالسكنين يمكن أن تقرئ بها تقاحة  
لتقدمها لصاحبك.. أو تقطع بها رقبته.  
والأمر يتوقف على نصيبك من الحكمة والأخلاق والدين وأدعوا  
الله.. أن تتغلب الحكمة.



منذ ثلاثة ملايين سنة.. قبل أن يجيء إلى الدنيا شيء اسمه إنسان.. والأرض ما زالت على بكارتها غابة لم يشقها محراث.. ولد للحياة حفيد جديد رقيق الجسم اسمه.. الحشرة.

وكان مقدراً لهذا الحفيد أن تكون سلالته المباركة أكثر مصنفات الحيوانات عدداً وعدة.. وأن يكون أذكى من الديناصور العظيم وأوسع حيلة من ثعلب الجبل، وأقدر على مواجهة صعوبات الحياة من ضوارى الغاب.

وحينما زحف الثلج وغطى الأرض في العصر الجليدي وحول المحيطات.. إلى جماد.. ماتت الديناصورات العظيمة وانقرضت الزاحفات واحدة بعد أخرى.. ويقيت الحشرة تقاوم مكومة في الثلج وقد أغمضت عينيها في بيوت شتوى طويل لا تأكل ولا تنفس.

وأشرقت الشمس ذات يوم لتتدفق الدنيا.  
وذاب الجليد.

وخرجت الحشرات بالألاف والملفين من خنادقها.. وكأنها ياجوج ومأجوج.. لتغزو الماء واليابسة والصحاري الجرد والهواء.. بعضها يأكل بعضاً.. وبعضها يتغذى على الحياة الأخرى من نبات وحيوان.. وبعضها يتغذى على الطين وبعضها يأكل الروث.. وبعضها يعيش على ملح المستنقعات وبعضاً يمتص الدم.

## ■ قاذفة الزنابيل ■

وإنها لقادرة دائمًا على التكيف على أي طعام موجود. وبيننا اليوم حشرات عجيبة تأكل أنواعاً عجيبة من الأطعمة مثل ذبابة البتروл التي تعيش في أحواض البترول.. وذبابة التحنيط التي تعيش على أملاح تحنيط الجثث.. وخنفساء الدائرة الكهربائية التي تعيش على أسلاك الرصاص.. وجنادب الينابيع الكبريتية الحارة.

والجعارين التي تأكل العظام.

وكل حشرة تتحرك مثل عربة مصفحة تحيط بجسمها الرقيق صفائح من مادة كالصلب اسمها الكيتين تقاوم فعل جميع المهلكات الكيميائية .. وهي تسلح نفسها بحراب وختاجر وأشواك.. وبعضها يسلح نفسه بحويصلة من السم متصلة بإبرة حامية «الزبان» يطعن بها أي عدو يقترب منه فيسلله ثم يلتهمه.. وبعضها يتلون بلون البيئة كفرس النبي الأخضر بلون الخضرة والجرادة الصفراء بلون الرمال.. وبعضها يلتصق على نفسه أوراق الشجر الميتة كما يفعل جندى الصاعقة وهو يزحف.. وبعضها يطلق غازات كريهة ليطرد أعداءه.. وبعضها يحفر لنفسه خنادق ليختبئ.. وبعضها يبني لنفسه قلاعاً حصينة من الطين.. وبعضها يحاكي في هيئته الزنابير اللاسلعة بدون أن يكون له زبان ليضحك على مطارديه.

والحشرات تحمل درجات البرودة القصوى تحت الصفر فتجمد ولا تموت كما تحمل الحرارة العليا كما تعيش تحت الضغط الجوى المنخفض وتحت ضغوط البحر العالية تحت الماء.. وفي الفراغ.. وفي غياب الأكسجين.. وفي وجود الغازات السامة.

وكل حشرة تعيش في أكثر من بيئتين فالبعوضة في مرحلة الدودة والشرنقة تعيش في المستنقعات، وفي مرحلة الحشرة

## ■ قاذفة القنابل ■

ال الكاملة تعيش فى الحدائق وتتغذى ذكورها على رحيق الزهر وإناثها على دم الإنسان.

والحشرات تسمع وتحس وتشم وترى أحياناً عن طريق قرون الاستشعار أو الوبر الخفيف على جسمها، وبعضها له طبلة أذن.. وبعضها له عيون مركبة.

والمعجزة التي استطاعت بها الحشرات أن تهزم الموت والفناء وضراوة الظروف المهملة.. هي معجزة النسل.

فحشرة دودة القطن تبيض في اللطعة الواحدة ٤٠٠ بيضة تفقس ٢٨٠ أنثى و ٢٠٠ ذكر وكل أنثى تعود فتببيض ٤٠٠ بيضة وبعملية حسابية سوف نكتشف أن الحشرة تتضاعف ثمانين ألف حشرة بهذه الطريقة ثم ١٦ مليوناً. كل هذا من حشرة واحدة وفي خلال زمن يعد بالأيام.

وذبابة الدروسوفيلا مثلاً تنتج ٢٥ جيلاً في السنة ويبدأ الجيل الأول بمائة بيضة وبعملية حسابية بسيطة يتضح أن العدد النهائي في الجيل الخامس والعشرين يبلغ من العظم بحيث لو تراصت ذباباته الواحدة إلى جوار الأخرى يتكون جسر يصل من الأرض للشمس.

وأعجب ما في الحشرة ما يسمى بالمعرفة الغريزية.. فحشرة أبي دقق تختار أوراق الكرنب لتبيض عليها مع أنها لا تتغذى على الكرنب ولا تحتاج له وإنما تقودها إلى ذلك معرفة غريزية باطنية.. فالبيض سوف يفقس وسوف تخرج ديدان صغيرة لا تأكل سوى الكرنب فيجب أن تبيض حشرة أبي دقق على ورق الكرنب ليجد الصغار ما يأكلونه ومع ذلك فحشرة أبي دقق لا تعرف هذه المسألة معرفة عقلية واعية.

وحتى لو رأت الصغار التي فقس عنها بيضها فهي لن تعرفها.. ولن تعرف أن هذه الديدان أبناؤها.

## ■ قاذفة القنابل ■

إن كل العملية تتم بدون وعي وبإملاء من قوة مجهولة اسمها الغريزة، وزنبور الطين يصطاد الدودة ثم يبيض عليها بيضة واحدة ثم يضعها في العش ويمضي باحثاً عن حصانه حتى إذا وجدها حملها بين ذراعيه وأغلق باب العش.

وتفقس البيضة لتجد اليرقة الصغيرة طعامها جاهزاً بين يديها. كيف أدرك الزنبور هذه الحاجة المسبقة فاحتاط لها.

والبعوضة التي تضع بيضها على سطح الماء فتزود كل بيضة بكيسين من الهواء تطفو بهما على السطح.. هل تعرف قوانين أرشميدس؟

والحشرة التي يسمونها في علم الحشرات «قاذفة القنابل» والتي تتمطر أمام الحيوانات المفترسة دون خوف حتى إذا فتح أحدها فمه ليتلهمها ضغفت على كيس في بطنه فامتزجت في لحظة إفرازات ثلاثة غدد تحتوى على مادة الهيدروكينون وفوق أكسيد الهيدروجين وأنزيم خاص، و يؤدي اختلاط الثلاثة إلى تفاعل شديد وخروج غاز لاسع كريه الرائحة فيفرر الحيوان المفترس رعباً.

هل أخذت هذه الحشرة دبلوم الكيمياء من كامبريدج.

والحشرات التي تنصب الفخاخ من خيوط الحرير.

والحباحب التي تضيء بالليل لتجذب البعوض ثم تأكله..

وحشرات الماء التي تسبح في الماء بأذرع كالمجاديف وتتطير في الهواء بأذرع مجنة والحشرات التي تغنى لتنادي على ذكورها.

لا شك أن هناك عقلاً كلية خلق مخلوقاته وخطط لها وهو يعلم من الغيب ما لا تعلم.

إن الحديث ليطول ويحلو.

والموضوع يزداد غرابة كلما أوغلنا فيه.

ماذا وراء

بوابة الموت



الله

ربك

لم يحدث في التاريخ أن جاء عصر بمثل هذه الوفرة والغنى والتعرف المادي والأدوات التكنولوجية التي تسهل الحياة على المواطن.. وقد رأينا أمهاهاتنا في الماضي القريب يغسلن ويكتنسن ويطبخن ويخبزن ويعجن ويرضعن أطفالهن.. واليوم الغسالة الآلية والمكنسة الكهربائية والوجبات الجاهزة والمخبز الآلي والألبان الصناعية تؤدي عن المرأة كل هذه الوظائف.. وبضغطة على زر يستحضر المشاهد في لحظة فرقا استعراضية من كل أنحاء العالم ترقص وتغنى له.. وهو يستطيع أن يصل إلى أقصى أطراف المعمورة في ساعات بالطيران النفاث.

وهو يستطيع أن ينزل إلى أعماق البحر وأن يرتاد الفضاء، وهو يستطيع أن يوظف العلم لتخدير الصحاري ولزرع الأجنحة في الأنابيب ونقل قلوب الموتى إلى صدور الأحياء وعلاج العقم وهزيمة السرطان، وهو يستطيع أن يستحدث محاصيل جديدة ويضاعف من المحاصيل القديمة.. والإنتاج الزراعي وصل أحيانا إلى درجة من الوفرة أدت بالمنتجين إلى إلقاءه في البحر حتى لا ينخفض سعره.

والطاقة الذرية والطاقة الشمسية والإلكترونيات الليزر والأمواج فوق الصوتية فتحت مغاليق أسرارها للإنسان.. والفلاح المعدم الأجير وصلت يوميته في مصر إلى عشرة جنيهات

وأصبح عملة نادرة عزيزة، ومثله النجار والحداد والنقاش والسباك وهى حرف سهلة لا تحتاج إلى أكثر من شهور لإتقانها.. وعائدات النفط الوفيرة من العملة الصعبة انتقلت بدول الخليج وأيران بقفزات حضارية لاهثة لتجعلها فى مصاف الدول الأوروبية.

وكان المفروض أن تؤدي هذه الوفرة والغنى والسهولة بالإنسان إلى السعادة.. ولكن ما حدث كان العكس.. فقد ازداد الإنسان بهذه الوفرة المادية تعاسة وارتقت معدلات الجنون والانتحار والأمراض النفسية في العالم كله.. وازدادت الأسر تفككاً وازداد الناس بعداً عن بعضهم البعض وانعدم التواصل بين الزوج وزوجته والأخ وأخيه والأب وأبنته.. وأصبح الناس كالجزر التائهة الشاردة لا يكاد يجمعها رابط.

وشهدنا عشرات الحروب وسقطآلاف القتلى واشتعلت الحرائق في كل مكان وأصبح الإرهاب والقتل العشوائي والعبوات الناسفة والسيارات الملغومة والقصف الأعمى ظواهر عادية.

وانقلبت النعمة التي بين أيدينا إلى نعمة.. وبقدرة أكثر نحن الذين قلبنا هذه النعمة إلى نعمة فنحن نتفق أكثر من ستمائة ألف مليون دولار سنويا على السلاح وعلى أدوات القتل.. ونحن لوثنا الهواء والبحار والأنهار والزروع بالفضلات والعوادم والمبيدات ونحوها رصدنا الأموال في كل مكان لتطوير أسلحة الموت والدمار.. ونحن في كل مكان نجتمع ولا نتفق ونتصافح ويطوى كل واحد قلبه على ضفينة وقد أعلن كل واحد منا من نفسه دولة مستقلة ذات سيادة وأصبحنا نتصادم كل يوم بعدد الستة آلاف مليون فرد من ساكني هذا الكوكب.

### ■ نتنيج من القربى ■

إن المادة والوفرة لم تقربنا بل فجرت فيينا حب المصلحة وحب الاكتناف والرغبة في الجمع وفجرت الـ «أنا الوضيع» النفس الأمارة الحيوانية الشهوانية التي ترغب بلا نهاية. وأصبح كل منا مجرد جوع لا يشبع.

وتحول هذا الـ «أنا الوضيع» إلى جدار غليظ صفيق يفرقنا.. ولم يعد كل منا يسمع إلا نفسه.. وتحول الحوار إلى كلام من طرف واحد لأن الآخر لا يسمع. كيف نعلو على هذا الـ «أنا» ونتجاوزها إلى المرتقى الأعلى من نفوسنا.

هذه هي المشكلة؟

كيف نتخطى المصلحة الشخصية إلى القيم الأعلى والمثل الأشمل.

إن التدين الشكلي.. والإيمان باللسان.. والخلق المظاهري ليس حلا وإنما المطلوب هو إيمان تذوق وتشرب ومبادئ تمتزج بالشفاف واقتناع يصل إلى مركز الشعور واعتناق يصل إلى نخاع العظم.

المطلوب تدين يصل إلى ذروة الأزمة الوجودية التي تغير صاحبها وتصهره لتخرج به من حيوانيته إلى إنسانيته.

ويبدو أن العالم كله صائر إلى هذه الأزمة الوجودية ومقبل على هذه المخاض المؤلم.. إن المرحلة الروحانية القادمة لن تولد إلا من خلال الفشل المادي.. والإسلام الحقيقي لن يولد من مجرد شكليات صورية مثل اطلاق اللحية أو تقسيم الثوب وإنما من محنة عالمية وهائلة تصهر الناس في أتون العذاب حتى تتظهر معادنهم وتذوب غشاواتهم وتتفتح بصائرهم.

وما نحن فيه الآن من ضنك واحباط وتعب هو الليل المظلم  
المدلهم الذي يسبق الفجر.

وربما اشتد الظلام في المستقبل القريب وربما ادلهمت  
الكوارث أكثر وأكثر وربما فاتتنا شهود الفجر وقصرت أعمارنا عن  
بلوغه. ولكن قادم.. وحسب كل مما نصيّبا أن يسهر على معركته  
الخاصة الفاصلة ليتعجل ميلاد الفجر في نفسه هو أولاً من خلال  
محنته هو وعذابه هو ومن خلال أزمته الوجودية الخاصة.. ففي  
داخل كل مما نمرّ بها مع نفسه الأمارة ومع الـ «أنا الوضيع» في  
داخله.. ومع شهواته ومصالحه.. عليه أن ينتصر فيها أولاً.. إذا  
أراد لمسيرة النور أن تهزم جحافل الظلام التي تجثم على العالم  
من جميع أقطاره.

عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم.  
على كل إنسان أن يعلن الثورة على نفسه أولاً وأن يعتقل  
شياطينه وأن يغير سلوكه وأن يجعل من نفسه مثالاً وقدوة قبل  
أن يطالب الآخرين بأن يبدلوا من سلوكهم.

وقد يطول المشوار ولكن سلامه الوصول أكيدة.  
أما التغيير التحسسي عن طريق قلب نظم الحكم وعن طريق  
العنف القهري فقد يbedo لأول وهلة أنه يقصر المشوار ويختصر  
التاريخ ولكن ما يحدث هو العكس.. إنه يطيل أمد المحنة ويعطل  
التاريخ ويستبدل الظلم القديم بظلم جديد ولا يغير نفوسا وإنما  
يغير كراسي وبطاقات.

إن نفوسنا هي المعاقل الأولى للثورة والتغيير وترويضها  
وقيادتها هي المنطلق لقيادة أي شيء وليس شقشقة الشعارات  
وطنطنة الهتافات فليست عكوف كل مما على نفسه يروضها ويربيها

## ■ الفجر القريب ■

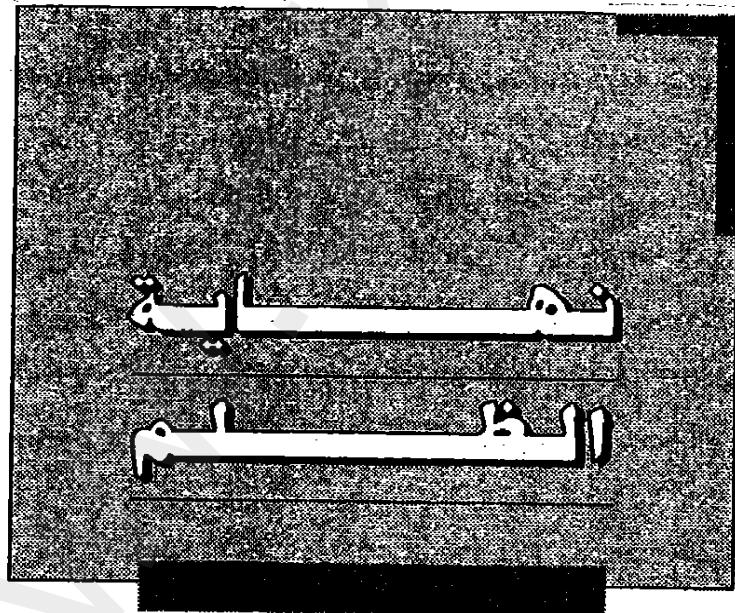
ويذكرها ويكافحها فذلك هو الجهاد الأكبر الذي صنع الفرد المؤمن.. ومن الفرد تنمو العائلة والمجتمع والأمة والتاريخ ولا يأس من طول الطريق.. فإنما أول الغيث قطرة ومعظم النار تبدأ من مجرد شرارة.. وذلك هو المراد حينما يقول لنا القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. فذلك إذن هو منطلق التغيير.

أن أغير ما بنفسي.

وأن تغيير ما ب بنفسك.

وأن تشرق شمسنا أولاً من داخلنا.

وذلك كلام قديم جداً.. بدأ من أيام سocrates!!



المشهد فى أوروبا الآن لما يحدث فى كوسوفو هو للأسف تكرار ممل لما حدث فى البوسنة والهرسك ولما حدث فى الشيشان ولما حدث فى بورما ولما حدث فى الفلبين وهو تكرار بطء لما حدث فى إسبانيا بعد سقوط الدولة الإسلامية ومسلسل المذابح للفلول الهازنة الناجين بأنفسهم من الصلب والحرق .

وحل الأطلنطي لا يملك إلا أن يغطى حمرة الخجل التى كست وجهه بتهديدات شفوية للسفاх ميلوسوفيتش يعقبها بالمهلة تلو المهلة حتى يشبع من التمثيل بضحيته وحتى يسلم آخر طفل إلى غول البرد والجوع عند حافة الجبل .

والأطفال اللقطاء يباعون فى أوروبا لعصابات دعارة الأطفال للتنصير والأهداف أخرى .

وتكرر الظلم هو الحقيقة الوحيدة العارية التى تصفع الوجه الإنساني لهذا العصر الذى يتحدث عن تطهير البيئة وإنقاذ الحيوانات من الإنقراض وتنبأ الأوزون ويفسى أن النوع الإنساني نفسه أصبح مهددا بالإنقراض .. وأن الرحمة أصبحت حفرية بائدة .. وأن الدين عند أدعية التدين هو تصنيع قنبلة لنصف الطرف الآخر .. أو القتل غيابيا كما يحدث فى الجزائر .

وأسال متعجبا ..

## ■ نهاية الظلم ■

لماذا تعجبون يا إخوانى إذا نبح الكلب أو عض الذئب أو نهشت  
الضياع الرم .. ألم يخلق الله لذاك نابا وأنبت لذاك ضرسا وصنع  
لذاك طاحونة تطحن الرم .. ألم يجعل فى هذا الغذاء طعاما وقوتا  
وصحة لهذه الوحش .

إنى لأجد المعنى فى الغابة .. ولا أجده فى المدينة التى  
نسكنها.

إنى أجد السلام والأمن فى الغابة فلن ينفجر لغم تحت قدمى  
ولن تسقط على رأسي قبلة عنقودية .

وعجبت للرئيس ياسر عرفات يمد يده ليصافح شارون فلا  
يحرك هذا ساكنا ولا يلتقت إليه .. كيف وجد ياسر عرفات فى  
نفسه الرغبة ليصافحه .. وكيف تتحرك الأيدي للسلام بدون  
سلام .. ولم أشهد بطول المفاوضات مع اليهود سلاما ..  
وما شهدت إلا كبرا وعنادا وصلفا واستكبارا وتصليبا ونفورا .

السلام لين وانقياد وسلامة .. ورغم الاتفاques التي وقعت ..  
فإنى لم أر للسلام ظلا ولم أشهد له رি�حا فى واى بلانتيشن .

إنما هي تمثيلية سوف يعقبها اشتباك فى أول منعطف طريق .  
نحن فى حاجة إلى إطلالة بطل .. إلى روح البطولة الجامعة .

نحن فى حاجة إلى صلاح الدين .

إنهم يطاردون الأكراد فى كل مكان خوفا من أن يبعث فيهم  
صلاح الدين من جديد .

إن معجزة صلاح الدين كانت فى روحه الجامعة التي جمعت  
الأشلاء العربية على إرادة واحدة .. إنهم استأنسوا الطالباني  
والبرزانى وبقى أوجلان .. ولن يغمض لهم جفن وهو حى  
يرزق.. ولا أظن إلا أنهم قاتلوه .

نهاية الظلم

ولكن الله هو الذى يخلق الأبطال وهو الذى يحفظهم حتى  
يؤدوا رسالاتهم .

وَلَا يَمْلِكُ أَوْجَلَانَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ بَطْلًا .

إنما البطل رهن الغيب لا يعلم به إلا عالم الغيب .

ولن تظل أمريكا مظلة أبدية تحتمي بها إسرائيل .

وأى ريح أو زلزال أو إعصار يمكن أن يجعل من أمريكا أثراً بعد عينٍ.

وقد ذكر الله في قرآن : ﴿ عادا الأولى ﴾ التي بفت وطفت واستآسست .. وكانت تقول .. من أشد منا قوة .. وكانت عاصمتها لؤلؤة العواصم .. وسماتها القرآن : ﴿ إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ ويبدو من اسمها أنها كانت ذات أبهاء وأعمدة لا مثيل لها ولا نظير .. فلما قضى الله بزوالها زالت رامحت ولم ترك أثرا يدل عليها .  
تلك كانت عادا الأولى .

وأمريكا هي الثانية ..

وهذا مصير الجبارين والمعظام المتألهين بعظمتهم على الناس .

ولن تجد لسنة الله تأويلاً ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وللذين يتساءلون .. كيف .. وهل ممكن .. وهل يعقل .. وهل ..

وہل

نقول لهم .. وأين روسيا صاحبة أول سفينة فضاء .. وصاحبة أكبر ترسانة للقنابل النووية .

روسيا التي قسمت العالم إلى يمين ويسار وتقدمى ورجعى وألقت به فى حروب لا نهاية طولاً وعرضًا من أنجولا إلى موزمبيق ومن البرازيل إلى المكسيك وهزت الكرسى البابوى

وأنشأت علمًا مستقلاً اسمه علم الإلحاد واحتكرت لنفسها  
المستقبل لأكثر من نصف قرن .

أين روسيا الآن من روسيا الأمس وهي تتسلل اللقمة وتعطى موظفيها مرتبًا شهرياً من الكرنب بدلاً من الروبلات التي سقطت قيمتها إلى الحضيض.

ولا يبدو في الأفق مخرج غير التسول وطلب المعونات .  
أى خيال مجنون كان يمكن أن يشطح بصاحبها إلى مثل تلك  
النهاية في دولة عظمى كان ذكرها يبعث الرعدة في الأوصال .  
لكن الغفلة الشيطانية التي نعيشها في ضجيج الإعلام وفي  
ضوضاء التليفزيون وبرامجه الباهاء ينسينا رفقة الحكم والتأمل  
والاعتبار .

وتمضي الأحداث تنسى بعضها بعضا ..  
والقتلة .. هل تذكرون عصابات القتلة من الهوتو والتواتسي فى  
رواندا ومليون جثة قتيل يجرفها النهر حتى تسد مجرىاه ..  
هل تذكرون من كان وراء تلك المذابح ومن كان يزود عصابات  
التواتسي والهوتو بالسلاح .. وثروات الكونجو من الماس  
والمعادن الثمينة وحرب الأطماع الخلقية التى تتنافس فيها فرنسا  
وبلجيكا وأمريكا وإسرائيل .. وموبوبو سيسى سيكو رجل فرنسا  
وعميلها ومن بعده كابيلا رجل أمريكا ... وأين الشعوب ..  
لا توجد شعوب .. إنما يوجد لصوص وعصابات و CIA وموساد  
ونشل منظم لثروات عالم بدائي لا يعرف له مكانا فى التاريخ ..  
وظلم بل ظلمات بعضها فوق بعض .. وقتل .. ودم .. وإبادة ..  
هل يفكر هؤلاء فى ساعة المحاسبة ..  
لا أحد يفكر .. ولكن لا يوجد شيء أكثر يقينا من هذه الساعة ..

### ■ نهاية الظلم ■

والذى خلق هذا العالم الباهر فى دقته وإعجازه .. لن يفلت من  
يده ظالم .

والذى خلق الإنسان والكمبيوتر .. وما خفى من علوم  
المستقبل .. لاشك يعلم كيف يكون الحساب دقيقاً ولا صفر كسر  
عشري .

وفي حساب المواقت عند ربنا هناك ما هو أصغر من واحد  
على مiliar من الثانية .. وفي سرعات الليزر ما هو أدق من ذلك  
بكثير .

وحيينما يقول ربنا إن عنده الموازين القسط فإن أهل العلم  
والإيمان يدركون من ذلك ما يشيب له الوليد .

حقاً .. إن قلباً لا يسكنه الخوف من الله .. ليس قلباً .. بل  
مقبرة.



ما يجرى في أمريكا أمر غير مفهوم .

هذه العاصفة التي شملت كل وسائل الاعلام المرئية والسموعة والمقرؤة وكأنما قامت القيامة على الرئيس كلينتون وعلاقته الجنسية بمونيكا وما حدث فيها من ألوان « قلة الأدب » وما تبقى على الفستان من آثار بيولوجية تخصل الرئيس .. وخمسينات صفحة من اعترافات الآنسة مونيكا مليئة بالتفاصيل وتفاصيل التفاصيل المخلة والمحظوظة التي ضمنها المحقق كينيث ستار وأرسلها في ٣٦ صندوقا تحت حراسة أمنية مشددة إلى رجال الكونجرس لتروي أحداث هذه العلاقة « غير الشرعية » مزودة بالرسوم والاسكتشات التوضيحية .

وأفتح فمى فى دهشة وأنا استمع وأتفرج وقد اختلط على الأمر وكأنما يجرى هذا التحقيق فى صحن الأزهر على أيدي رجال الشرع الغيورين .. ثم أعود فاكتشف أنه يجرى فى صحن واشنطن وفي قلب أمريكا التي تنشر أفلامها ومسلسلاتها العهر والفجر والشذوذ والمخدرات في شباب العالم والتي لا تجد فيها طالب جامعية لا يتربط في ذراعه girl friend إلى شقته .. وكل أمريكي شأن خاص وحياة خاصة يحرسها الدستور الأمريكي ولا يحق لفضولى أن يدس أنفه فيها .. ومغامرات الرئيس الراحل كنيدى مع مارلين مونرو والروايات العديدة عما جرى بين كل

رئيس وسكرتيرته .. حكايات عادية كانت تمر بسلام ولا تفتح فيها ملفات تحقيق ولا عرائض اتهام .. والعهد قريب بالرئيس الفرنسي ميتران الذى لم يجد غضاضة فى أن يعترف بابتنة غير شرعية يدعوها على الغداء علينا فى أفخر مطاعم باريس .. ويبتسم الفرنسيون إعجابا برئيسهم وأخلاقه المتحررة .. فماذا جرى هذه المرة فى قلعة الفساد والعهر فى العالم .. وما هذه الغضبة المضدية للحياة والشرع وما هذه الصيحات التى توشك أن تهدد بالجلد والرجم أو خلع الرئيس الفاسق من كل مناصبه .

وهل تنسجم هذه الغضبة الشاملة والمبرمجة بمهارة مع الدور الهدام الذى تبادره أمريكا فى قيادتها الفنية للعالم وهى تدعو بفنونها وأقمارها الفضائية ورواياتها وقنواتها التليفزيونية للتفسخ والتحلل من كل شرع ومن كل حياء .. ومايكل جاكson البهلوان الشاذ جنسيا الذى تصفق له وسائل الاعلام الأمريكية .. أبلغ مثال .

إننا أمام تناقض غير مفهوم وغضبة للأخلاق من دولة لا خلاق لها . دولة تبادر القتل الأهوج للأذرياء فى غاراتها الجوية على السودان وأفغانستان .. ثم تلبس الحجاب والنkap وتغضب للشرع فى حكاية مونيكا .

نفاق عظيم من دولة عظيمة .. ورئيسها كلينتون حينما يحاصر بالأدلة ويسمع بخبر التقرير الذى أرسله المحقق كينيث ستار فى ٣٦ صندوقا وفي مئات الصفحات الحافلة بالصور والتفاصيل والأسرار والفضائح التى اعترفت بها عشيقته .. يتحول فجأة إلى شخصية الشاب النايم المعترف بالذنب ويلبس مسوح التوبية ويعتذر لحزبه ولزوجته وابنته ولجميلة مونيكا التى انتهك عفتها

ولأم مونيكا ووالد مونيكا وللأم الأمريكية كلها .. ويطلب المغفرة من الله والعون من الكنيسة ويتهجد صوته ويبتلع دموعه وتخرج نبراته منكسرة وكأنه ضبط يتبول على نفسه . عبقرية جديدة .. نكتشفها في رئيس أكبر دولة .. وفي كيف يتحول الذئب إلى حمل والنسر الكاسر إلى حمامه وديعة .. وقائد أكبر دولة إلى طفل .

ولكن هل ينجيه ثوب الضعف والندم والاستغفار !!  
أشك في ذلك .. وما حدث كان العكس .. فقد أسقطه ضعفه في عيون حزبه .. ولم يجدوا فيه رجلهم القوى الذي يمثلهم .. وتخلى عنه أكثرهم .

ولا شك أن الشرك المحكم والفحى الذي نصب له بمهارة .. والعقول الماكرة التي دفعت إليه بولا جونز ومن بعدها مونيكا لوينسكي ثم ليندا تريبي لتسجل عليه الساعات الطوال من أشرطة الغزل الجنسي والفحش والهمس .. وكلهن يهود .

كل هذا كان وراءه خطة لاستدرج الرجل إلى حتفه .. وجبيه تريد تحفيته والإتيان بالنائب النشط آل جور الأكثر موalaة للخطط الصهيونية والرجل الأقوى في مواجهة المواقف .. فالسنة أو السنستان الباقيتان من ولايته هما أخطر سنتين لتحقيق إسرائيل الكبرى .. وربما للإقدام على المواجهة العسكرية المحفوفة بالأهوال وهو ظرف لن ينفع فيه أمثال كلينتون الضعيف المفتون . إن الصهيونية تريد رجلاها .

ولابد أن يتغير المسرح وتتبدل الوجوه .

وما كان أسهل أن تقوم قيامة الإعلام الأمريكي فعملاق الصحافة الأمريكية هو الصهيوني اليهودي روبرت مردوخ الذي يملك وحده أكبر عشر صحف هذا غير محطات البث التليفزيونية ودور النشر .

وهكذا انفجرت البالونة المنفوخة بعناء .  
وكان ما نرى أمامنا من عرض مبرمج ومصنوع وفضيحة  
منسوجة بمهارة وحرفية ليلبسها صاحبنا .. وليلتبس الأمر علينا  
نحن فلا ندرى ما الحكاية .

وسوف يمضي كلينتون إلى حال سبيله أو يتحول إلى بطة  
عرجاء تنفذ ما يطلب منها دون مناقشة .. وهو أمر مفيد في  
الحالين .

أو يأتي الفتوة الجديد آل جور ليقود السفينة في الموج  
المتلاطم إلى حيث تريده إسرائيل .

وهذه هي القراءة المنطقية الوحيدة لهذا العرض غير المنطقي  
الذى شاهدناه لهذه الغضبة العنتيرية لعفة لا وجود لها ولأخلاق  
عذرية انتهت من آجال ولم يعد لها وجود في القارة الأمريكية  
ولا في أى بقعة من أوروبا .

وفي قلب لندن في الامبراطورية البريطانية العريقة وفي  
العائلة المالكة ذات التقاليد المحافظة العتيدة طلعت الأميرة ديانا  
على شاشات التليفزيون لتقول في جرأة عجيبة أمام الملايين ..  
لقد خنت زوجي أكثر من مرة .. والزوج المذكور هو الأمير شارلز  
وريث العرش بجلالة قدره .

وماذا حدث حينذاك !!؟

صفق لها الشعب واعتبرها قديسة .. ومشى في جنازتها  
الملايين .

وهذا هو عصرنا العجيب الذي نعيش .. فأى غرابة فيما فعل  
كلينتون باتخاذه عشيقة .. وهو الرجل «الحلية» المتربع على

## ■ مَاذَا وراء العاصفة؟ ■

عرش أقوى دولة في العالم .. دولة تزعمت العالم في اللهو والغدر والفجور .. وجعلت من إعلامها فراش غرام .

وكيف أحمر وجه هذا الإعلام فجأة خجلاً وراح يتشنج من التقوى والتعفف .. وكيف تحولت الصحافة الفاجرة إلى كرديناً يحاكم العشاق ويهددهم بالجلد .

لقد كانت الخطيبة الكبرى التي ارتكبها كليتون هى مسوح التوبة التي لبسها فجأة ووقف حانى الرأس يقول بصوت مرتجف كطفل ابتلت ملابسه الداخلية .

لقد أخطأت وفعلت فعلاً غير لائق .. وأنا مذنب ونادم .  
والحق أن ما فعله كان لائتاً ومناسباً أشد المناسبة للأخلاق الأمريكية والحضارة الأمريكية التي يمثلها .. وكان ابن هذه الحضارة بحق فيما فعل .. وابن هذا العصر الداعر المنحرف .

ولو أنه قال في رجولته :

« هذه أمور شخصية تخصني وحدى وليس لأحد أن يخوض فيها .. حاسبوني على إدارة الحكم وعلى إدارة الاقتصاد وعلى علاجي للبطالة فهذا ما اخترتموني من أجله » لو قال هذا .. لكان منطقياً مع نفسه ومع منصبه كرئيس ومع دولته التي لا يهمها إلا رواج السوق وارتفاع الدولار .

ولكنه اختار إثارة العطف وتحول إلى طفل .. فخسر كل شيء واستحق السخرية .

ولم نقبل منه بعد ذلك إرساله أرتال الطائرات قاذفات القنابل للإغارة على أفغانستان وضرب مصنع أدوية الشفاء في السودان .. للتفريطية على أفعاله وكانت هذه التغطية منه رجولة مفتعلة في غير موضعها .

وسوف يظل السامير الإعلامي ومولد سيدنا كلينتون وموئليكا مادة مسلية للفرجة والسهر ومسلسلا مشتعل الحلقات يتجمع حوله العالم مثل مباريات كرة القدم ومسابقات الكأس .

وكالعادة في أمريكا كل شيء يتحول إلى تجارة «وبيزنيس» وكل مصيبة تتحول إلى مكسب حتى سقوط السيد الرئيس .. والبركة في المخرجين العظام من وراء الأحداث وأصحاب المصالح فيما حدث ويحدث .

وإذا صادفك حادث غير منطقى في بلاد العم سام ولم تستطع أن تفهمه عليك أن تسأل من المستفيد ومن الخاسر وما المصلحة ومن هم أصحاب المصلحة .

ولماذا في هذه الحكاية التي حكيناها كان كل الأبطال يهودا بولا جونر وموئليكا لوينسكي وليندا تريب وباقى سرب الهوانم اللائى ألقى بهن في طريق كلينتون .. وأعضاء الكونجرس الذين أطبقوا على رقبته كانوا أيضا من نفس الطائفة .

ولماذا احتفظت موئليكا بقضايا السائل المنوى في فستانها لسنوات ولم تفكر في غسله ولماذا سارعت ليندا تريب إلى تسجيل مكالماته .

إن ما حدث لم يكن شيئا عفويأ ولم يكن عاطفة عابرة ولا نزوة .. وإنما كان فخا منصوبا بمهارة .

واليهود والصهاينة هم أصحاب المصلحة في أن يمضى كلينتون لحال سببـه ويأتـى رجلـهم آل جور لأن السلام العربي الإسرائيلي استنفذ أغراضـه ووصلـ إلى نقطة تحول .. وكلينتون لم يعدـ رجلـ هذا التـحول .

وما تبقىـ من قضاياـ معـ العربـ لنـ يؤخذـ بالسلامـ بلـ بالـ حـربـ .

وماذا الانتقال من الأبيض إلى الأسود دفعة واحدة سوف يحتاج إلى رجل آخر وإلي لغة أخرى وظروف أخرى ومبررات أخرى .

وما نراه الان هو بعض هذا التحول .

وسوف تتغير غداً أشياء كثيرة .

فهل يدرك أصحابنا العرب المتغيرات الجديدة .

وهل ستكون عندهم المرونة الكافية ليغيروا من أنفسهم ومن مواقفهم ومن الثوابت التي دأبوا على ترديدها مثل .. السلام حل وحيد .. والسلام إلى الأبد .. والسلام قرار استراتيجي .. وأغانى مدريد .. وشعارات أوسلو .. وأحلام كوبنهاجن وتسابيح كامب ديفيد.. إلى آخر موال النوم في العسل .

وإلى متى ذلك النوم

وماذا لو فاجأهم العدوان.

ماذا لو أعلنت عليهم الحرب .

ماذا لو اقتحمت الدبابات حدودهم .

هل فكروا في هذا الاحتمال .. !!؟؟

وأقول .. بل هو الآن أكثر من احتمال .. وبعد هذه المقدمات لعزل الرئيس أو تكتيقه أصبح هذا الاحتمال حقيقة .

فهل سأل العرب أنفسهم .. لماذا تقدس إسرائيل السلاح في ترساناتها .. ولماذا تعقد الأحلاف العسكرية مع تركيا ؟؟

وهل تراها تقدس السلاح ليصدا في مخازنه ؟؟

وهل تنفق الملايين بل المليارات هباء على أسلحة كيماوية ونووية وطائرات ودبابات وصواريخ لا تفكر في استعمالها .

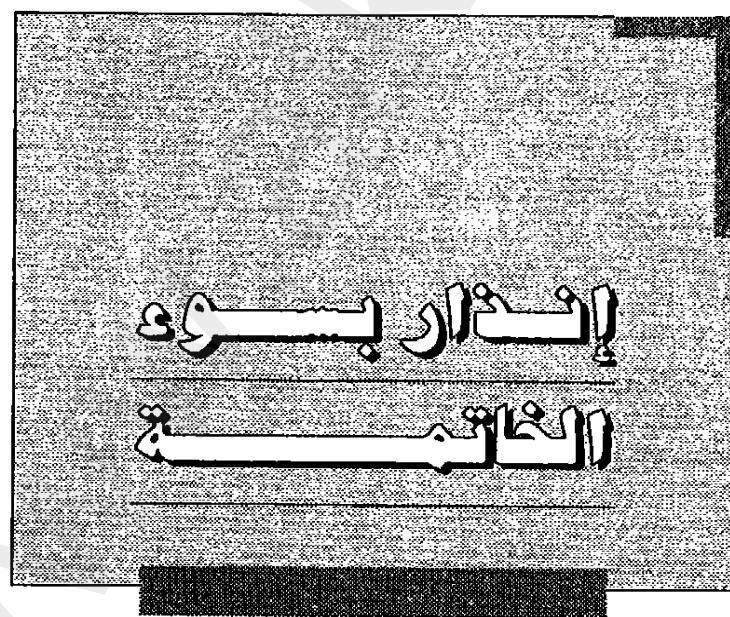
وهل يسمع العرب دوى انفجارات القنابل الإسرائيلية في جبال لبنان كل يوم .

وهل يذكرون كلام الله في قرآنـه عن الحرب مع إسرائـيل .  
وهل يقول ربنا في قرآنـه إلا الحق .  
هي مجرد كلمـات للتذكرة .. ولإـعمال الفكر.. ولإـعادة النظر ..  
حتـى لا نفاجـأ بما لم يكن على الـبال .  
وحتـى لا يقول رجال الاستراتـيجـية عندـنا .. هذا أمر لم يكن في  
الـحسـبـان .

وسـؤـال آخر في حـكاـية موـنيـكا وكـلـينـتون يـلـجـ على ذـهـنـي .  
أـلم يـخـطـرـ علىـ بالـ هـذـا الرـجـلـ المـفـتوـنـ الذـى تـرـبـعـ عـلـى عـرـشـ  
أـكـبـرـ وـأـقـوىـ دـوـلـةـ فـىـ العـالـمـ اـحـتـمـالـ وـاحـدـ فـىـ المـائـةـ أـنـ تـكـونـ هـذـهـ  
الـعاـشـقـةـ الـمـتـيـمةـ التـىـ أـلـقـتـ بـنـفـسـهـاـ فـىـ طـرـيقـهـ وـارـتـمـتـ فـىـ أحـضـانـهـ  
يمـكـنـ أـنـ تـكـونـ جـاسـوسـةـ تـسـتـعـمـلـهـ وـتـمـثـلـ عـلـيـهـ وـتـسـجـلـ عـلـيـهـ  
مـكـالـمـاتـهـ وـهـمـسـاتـهـ .

وـهـلـ انـطـمـسـ عـقـلـهـ وـضـاعـتـ فـطـنـتـهـ لأـولـ قـبـلـةـ .  
وـكـيـفـ يـعـتـذرـ لـهـ بـعـدـ كـلـ مـاـ اـنـكـشـفـ لـهـ مـنـ لـعـبـهـاـ بـعـقـلـهـ  
وـمـاـ حـدـثـ مـنـ فـضـحـهـاـ لـهـ وـاحـتـفـاظـهـاـ بـعـيـنـةـ مـنـ سـائـلـهـ الـمـنـوـىـ  
لـتـشـهـدـ بـهـاـ عـلـيـهـ .. كـيـفـ يـعـتـذرـ لـهـ وـيـطـلـبـ مـنـهـاـ الصـفـحـ وـالـمـغـفـرـةـ ..  
وـعـنـ مـاـذـاـ .. وـمـنـ الجـانـىـ وـمـنـ الـمـجـنـىـ عـلـيـهـ فـىـ الـحـكاـيةـ كـلـهاـ .  
وـكـيـفـ يـمـكـنـ أـنـ يـؤـتـمـنـ مـثـلـ هـذـا الرـجـلـ عـلـىـ الـمـنـصـبـ الـخـطـيرـ  
الـذـىـ يـشـغـلـهـ .

يـغـلـبـ عـلـىـ ظـنـىـ أـنـهـ اـنـتـهـىـ فـعـلاـ .. وـأـنـهـ ذـاهـبـ .. وـأـنـ الصـهـاـيـةـ  
قدـ حـبـكـواـ خـطـتـهـمـ «ـ وـقـرـطـسـواـ الرـاجـلـ » .. وـإـنـاـ سـائـرـونـ بـسـرـعـةـ  
إـلـىـ ذـرـوـةـ مـؤـكـدـةـ .



سهير أحمد السكري أخصائية اللغويات فى جامعة جورجتاون واشنطن تحكى قصة مثيرة ذكرها الكاتب الإنجليزى E. H. Janser فى كتابه Militant Islam أى الإسلام المقاتل يقول فيها أن إنجلترا وفرنسا قد أجرتا بحوثاً عن أسباب قوة وصلابة الإنسان العربى وتمكنه من فتح البلاد المحيطة به من الهند إلى تخوم الصين .. فوجدت أن السر فى ذلك كان طريقة تعلم الطفل العربى وكيف أنه يبدأ قبل الخامسة بحفظ القرآن وختمه وهو الكتاب الجامع لأفصح التراكيب اللغوية وأجمل الصيغ البلاغية التى تنطبع فى الذاكرة فلا تزول مما يحميه من الوقوع فى مرض الاذدواج اللغوى (دياجلوسيا) وهو الضياع بين لغتين عامية وفصحي لا يتقن أحدهما .. كما يعطى القرآن طاقة نضالية وصلابة خلقية وزخما إيمانيا وصلة بالغيب لا تتخلى عنه طول عمره فهو يشعر دائماً أنه لا يقاتل وحده وإنما يومن بأن الله معه ينصره ويؤازره طوال عمره (آخر عدوان على القرآن فى بلدنا كان قرار الأزهر بتقليل درجات الامتحان الشفوئ فى القرآن .. وكيف يكون هذا والقرآن كتاب نزل ليقرأ شفاهها بحكم تسميته قرآنا .. وعلم القراءات علم أساسى فى التلاوة وعلى الممتحن أن يسمع القرآن من فم الطالب كيف يتلوه وكيف ينطق

آياته .. وأول ما نزل منها : اقرأ باسم ربك .. لم يقل ربنا .. اكتب باسم ربك ) .

وقد آمن المستعمرون الإنجليز والفرنسيون بأن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ من الفصل الدراسي .. من المدرسة .. بتدمير التعليم الديني ( هكذا تقول السيدة سهير ) كما تكون بنشر المدارس الأجنبية المنافسة في كل البلاد العربية .. ومحاربة اللغة العربية وبالانفاق في بذخ على تعليم اللغات الأجنبية وربطها بالتقدم والتكنولوجيا والعلوم العصرية وفرص الثراء والمراتب الأكبر .. وجعل القرآن محصورا في الكتاتيب والمدارس الفقيرة والأسر المعدمة وربط التعليم الأجنبي بالطموح الظبيقي والنجاح والغنى .. وفي إحصائية أخيرة اتضح أن م inconsolable المدرسة يبلغ في المتوسط ١٧٠٠٠ كلمة .. بينما محصول الطفل العربي في هذه السن تكاد تكون معدومة .

وهي ظاهرة تقسر تخلفنا .. وتفسر أن ما يحدث الآن من حصار للإسلام وضرب للمسلمين هو أمر قديم كان وراءه تخطيط وفك .. وأن الواجهة البريئة من المدارس والجامعات الأجنبية والثقافات المنافسة لم تكن أموراً تطوعية لخدمتنا بل كانت غزواً منظماً مدروساً لفتح ثغرة في هذا الجدار الصلب الفولاذى الذى اسمه الإنسان العربى والفتح العربى الذى امتد من المحيط الأطلسى إلى الخليج الفارسى ومن الهند إلى تخوم الصين فى لا زمان .

وتتحدث السيدة سهير عن غزو آخر يواكب هذا الغزو تسمى الـ Junk food .. أو أكل الزبالة وهو الموجة القادمة من أمريكا ..

سندوتشات الهامبورجر والماكدونالد والوجبات السريعة .. وهى تصنع عادة من نفاثيات اللحوم وزبالتها وليس لها قيمة غذائية تذكر .. وقد جاءتنا هذه الموجة مع هواية الأكل على الواقع والأكل على الرصيف والأكل فى الأتوبوس .. وهى طريقة للأكل غير صحية وهى مسؤولة عن حالات التلذك المعوى وسوء الهضم وفقر الدم وسوء التعذية عند الشباب .

ولم تتحدث السيدة سهير عن الزبالات التليفزيونية والزبالات السينمائية من أفلام الرعب والجنس وروايات العهر التى وصلت إلى أعلامنا وقنواتنا الفضائية والتى يتتلذذ عليها البعض من شركاتنا السينمائية والكثير من منتجينا وممثلينا .

وحينما نقرأ الآن عن ضرب العراق وعزم أمريكا الوشيك على إرسال طائراتها وحاملات قنابلها لإسقاط هدايا الرعب والموت على الشعب العراقي الجائع المقهور .. فإننا نعلم الآن أن الضرب مستمر من قديم .. ومن قبل ذلك كانت هناك حرب الخليج التى صنعتها أمريكا صنعا على أيديها وأوغزت بها إلى صدام حسين ليغزو الكويت لتسدرج بعد ذلك العرب إلى المذبحة التى أضاعوا فيها البترول وفتحوا الأبواب للقواعد الأمريكية لتدخل على الرحب والسعـة ولتفقد البلاد العربية سيطرتها على أسعار نفطها إلى الأبد.

ومن قبل ذلك كانت هناك حرب العراق وإيران .. والأسلحة للاثنتين كانت تأتى من أمريكا .

ومن قبل ذلك كان زرع إسرائيل فى المنطقة العربية وإثارة سلسلة من الحروب لا تنتهى .  
والغزو مستمر على جميع الأصعدة .

والإدارة الأمريكية الآن جميعها فى قبضة اليهود والصهاينة  
وعلماء إسرائيل .

ومن وراء الإدارة الظاهرة هناك جماعات الضغط « وللوبى »  
وكلهم من اليهود والصهاينة .

والكلام عن الغزو يجر بعضه .

ومنذ متى لم يكن هناك غزو ؟ !!

ولكنه الآن غزو جهير وداعر وسافر وملئ ووقد .

والصهيونية تحاول الآن تشكيل العالم على وفق مطامعها .

وصدق القرآن حينما خاطب إسرائيل ذلك الخطاب الجامع  
المائع في سورة الإسراء قائلاً :

﴿ لِتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مِرْقَيْنِ وَلِتُعْلَمُنَّ عَلَوْا كَبِيرًا ﴾ .

ولذا قسنا كلمة « العلو الكبير » على كبر المتكلم .. فإن  
المعنى يتضمن في باطنـه كارثـة .

ولولا أن رحمة الرحيم عادت فشمتـنا فقال سبحانه لـإـسـرـائـيل  
في آخر الآيات :

﴿ إِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيُسَوِّعُوا وُجُوهُكُمْ وَلَيُدْخِلُوا  
الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوْلَ مَرَةٍ وَلَيُتَبَرُّو مَا عَلَوْا تَقْبِيرًا ﴾ .

فجعلـ منـ الخـاتـمةـ دـمارـاـ شـاملـاـ عـلـيـهـمـ وـعـلـىـ ماـ بـنـواـ وـعـمـرـواـ ..  
لـوـلاـ ذـلـكـ لـكـانـتـ الآـيـةـ نـذـيرـ نـهاـيـتناـ .

وحسـبـناـ حـسـنـ الخـاتـمـ فـإـنـاـ لـاـ نـمـلـكـ الـآنـ شـيـئـاـ سـوـىـ التـمـنـىـ .  
ولـكـنـ يـظـلـ فـىـ الـآـيـةـ معـنـىـ آـخـرـ باـطـنـ .. فـكـيـفـ يـدـخـلـ الـمـسـلـمـونـ  
الـقـدـسـ وـيـجـعـلـونـ عـالـيـهـاـ سـافـلـهاـ .. وـأـيـنـ تـكـوـنـ أـمـرـيـكاـ حـيـنـذـاكـ ..  
وـأـيـنـ يـكـونـ أـسـطـولـهاـ السـادـسـ وـبـوـارـجـهاـ وـغـواـصـاتـهاـ وـمـقـاتـلـاتـهاـ  
الـتـىـ تـجـوـبـ الـفـضـاءـ .. وـأـمـرـيـكاـ هـىـ حـامـيـةـ إـسـرـائـيلـ وـالـحـارـسـ  
الـسـاهـرـ عـلـىـ سـلـامـتـهاـ مـنـذـ وـلـدتـ .

والجواب واحد من احتمالين .. أما أن أمريكا ستتحول إلى الموقف المضاد المناهض وستنقلب على إسرائيل وتعاون في القضاء عليها .. أو الاحتمال الآخر .. أن أمريكا لن يكون لها وجود.. وتكون قد غرقت بكمال ولاياتها في كارثة فلكية .  
ولا يعلم الغيب إلا الله .

وتبقى آيات القرآن التي تشير إلى مستقبل إسرائيل وما قضى به ربنا عليها .. من آيات الإعجاز ومن مغاليق القدر المطلسم .. وهي من الآيات التي يذكرها المفسرون في استحياء ويقولون .. تفسيرها حدوثها .. ويفضلون هذا على التخبط في التأويل .

وتأتي في الأنجليل وفي رؤى يوحنا اللاهوتي وفي التوراة نذر بنهيات وكوارث مشئومة مشابهة .. ويعلم الأحبار العجائز بهذه الخاتمة المشئومة لدولتهم .. وفي إسرائيل حزب ديني من أحزاب الأقلية يرفض فكرة إسرائيل الكبرى ويرى أنها لو حدثت تكون فيها نهاية إسرائيل .

ولكن الاندفاع التاريخي يمضي في جنونه ويرفض ما يتهمون به هؤلاء وهؤلاء .

وكمثال الحجر الهائل الساقط من الجبل سوف تهوى إسرائيل إلى نهايتها دون أن تستمع إلى عظة أو تصفي إلى حكمة .. فهكذا يقول ربنا في كتابه :

﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض  
مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ .

إن ربنا قضى قضاءه وانتهى الأمر .. ولا مرد لقضاءه  
ولا معقب لكلمته .

ويبقى أن نحاول نحن العرب أصحاب القضية أن يكون لنا

إسهام محمود ودور مشرف في ما يجرى وألا نكون مجرد متفرجين نمضغ أمجادا قديمة عفى عليها الدهر أو نكون خواج جددا وأحزابا رافضة وطوائف عدمية تتهم هذا وذاك بالكفر وتطعن في ذمة كل مسلم .

وشيطان اليوم اسمه التطرف وبضاعته اليوم يدفع فيها ، بالدولار وتدخل في المزاد دول تبحث عن من يشعل لها النار بأى ثمن وتشتري الفتنة والتفجيرات من الذين يفجرونها بأسعار فلكية .

والإرهاب باسم الإسلام أصبح الان له مراكز في جنيف ولندن وواشنطن .

وإسرائيل هي أكبر مساهم في لعبة خلط الأوراق الجارية .  
والموساد والـ C. I. A تديران هذه الحرب الخلفية .. وهى لا تنفصل عن الحرب الظاهرة ولا عن المفاوضات الوهمية والسلام الزائف ومدريد وأوسلو واحد وأوسلو اثنين وكوبنهاجن إلى آخر مسلسل التمويه والدوخة التى يدوخ معها قارئ الصحيفة العادى فى دوامة يومية ولا يعرف رأسه من رجليه .  
ولكن القضية لها رأس .. ورأسها هي القدس .. ولها أرجل .. وأرجلها تتتسابق إلى احتلال كل شبر ممکن من الأرض وكل قطرة ممکنة من المياه .. وكل بضعة من التربة الزراعية الخصبة .  
وهذا يعود بنا إلى وعد إسرائيل وسورة الإسراء .

ودائما كان قارئ القرآن يدهش لهذه النقلة الفجائية للآيات التي استهلت السورة بهذا التسبيح الرحمنى الجميل .. «سبحان الذى أسرى بعبيده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع

**البصير» . وفجأة تنقله الآيات في قفزة واحدة إلى سيدنا موسى .. «وأتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل» .**

وكان القارئ يدهش لهذه النقلة الفجائية ويتساءل عن المغزى والمناسبة بين الإسراء بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام إلى المسجد الأقصى وصلاته الجمعة بالأنبياء هناك .. وبين موسى وبني إسرائيل .. وفي الواقع أن هذه النقلة هي الإعجاز القرآني بعينه .. وأن هذه النقلة كانت مقصودة .. وكان المراد بها لفت النظر إلى أن الإسلام سيكون له دور هناك.. وأن صلاة النبي إماما بكل الأنبياء في الرؤيا المحمدية إشارة إلى الدور القيادي للإسلام في هذه المرحلة الحرجية من التاريخ .. ثم تنتقل السورة إلى الحديث عن الإفسادتين وإلى العلو الكبير وتتأتى إلى النهاية بدخول المسلمين إلى القدس منتصرين وتدميرهم لكل ما أنشأت إسرائيل وكل ما عمرت .. في سياق متصل ختامه .. «وإن عدم عدنا» . أى لا أمل ولا قيام لأى إسرائيل كبرى ونحن لكم بالمرصاد .

وسورة الإسراء هي التحدى القائم والمستمر لكل ما تخطط له إسرائيل ولكل ما تحيكه من مؤامرات وفتن وحروب وتأكيد بأن كل هذا سوف يذهب هباء وبأن إسرائيل لن تصل إلى شيء .. ولا خلاص لإسرائيل من شؤم نهايتها إلا بالخلاص من القرآن كله وهذا أمر مستحيل فالقرآن هو كلام الله المحفوظ إلى آخر الدهر .  
وسوف تؤكد الأيام مصداقية هذه النبوة وسوف تضيف إلى القرآن دليلا جديدا من أدلة إعجازه التي تحدى بها ربنا الإنس

والجن وكل من يتصور أنه يستطيع أن يقلد هذه الآيات أو يأتي بمثلها .

ولأن أتى بمثلها فكيف يأتي بالمستقبل وكيف يغض مغاليل الأقدار وكيف يقلب مقدمات الهزيمة نصرا لم تظهر له شواهد ولم تبد له باديات .. وكيف .. وكيف .

إنه الله الحق مالك الملك الذي أحاط بكل شيء علماً والذى يملك الماضي والحاضر والمستقبل وكل ما كان وما يكون وما سوف يكون وحينما يتكلم فكلامه قدر .

وصدق الله العظيم :

﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدَهُ مَأْتِيَا﴾ (مريم : الآية ٦١ )

ما دا وراء

بوابة الموت



البُرْ

النَّوْبَر

اللغة العربية تتراجع ومعها أسماء الـدكاكين  
وأسماء المأكولات لتزحف علينا غزوات أعمجية  
تقتتحم علينا حياتنا وتصبّغها بالصبغة الأمريكية..  
فالقرى السياحية الجديدة تملاً الصحف بـأسماء..  
الدريم لاند والكورال بيتش وبيفرلى هيلز وجولدن  
بيتش.

وتدخل هذه الرطانة قاموسنا اللغوى وتحتل.. ونجد أنفسنا  
نقول.. دادى.. وأونكل.. وتأنت.. وبودى جارد.. وكتالوج..  
وباسبور.. وستريو.. وسوبر ماركت.. وبون جور.. وبائى باى..  
وبارتى.. وهائى.. وأوكى.. وهالو.. وبرايفو.. وسوفاج..  
وأم بوسيل.

ويجرى التشويه والعبث فى الألفاظ العربية فنسمع كلمات  
أمثال «كمانتا» يغنىها الجيل الجديد الضائع.. ونسى أننا ن فقد  
بهذا أرضنا التى نقف عليها ونفقد عروبتنا ونفقد قوميتنا ون فقد  
قيمتنا ون فقد خصائصنا.. فلا عجب أن تختفى الشهامة العربية بعد  
ذلك من الشارع.. وأن يختفى الشرف بمفهومه العربى من البيت  
وأن تكون العروسة السوبر فى نظر العريس هى مسخ فرانكو  
أراب.. فهذا هو القالب الجديد الذى يبحث عنه والذى انطبع فى  
ذهنه من رؤية المسلسلات الأمريكية والسينما الفرنسية.. وهذا

هو معنى التقدم كما أخذه من التليفزيون ومن أفلام السينما ومن كبار المخرجين من حملة الأوسكار ونجوم الإغراء من صناع الموضات والأهواء.

ونظرة سريعة إلى أسماء المحلات في ميدان شعبي مثل ميدان السيدة زينب لا تجد فيه أسماء عربية واحداً وربما عثرت على اسم يتيم بين كل عشرة محلات.. وهذا هو الوصف الدقيق لحالنا.. إننا نتحول بالتدريج إلى أيتام بلا أب وبلا أم.. ونصبح غرباء عن أرضنا وفي بلدنا ونفقد حسبنا ونسينا وأصلنا.

والمسئوليّة تقع على كل واحد فينا ابتداءً من وزير التربية والتعليم ونزولاً إلى حلاق القرية.. والاستعمار الفرنسي ومن بعده الانجليزي ومن بعده الأمريكي يحمل معظم الوزر.. ولكن هذا المسلسل الغاشم من الغزو الأجنبي لا يكفي لإبراء ذمتنا.. فمصر بموقعها الفاتن والعبرى كانت ضحية لموحات من الغزو بلا عدد ولكن كان الملاحظ دائمًا أنها تطبع الغزاوة بطابعها أكثر مما تطبعها.. وأكثر من دخلوا مصر تمصروا أكثر مما تفرنجنا نحن وهرولنا وراءهم.

والخلاف سبب آخر فنحن لم نعد ننتج المعرفة ولم نعد نبدع في العلوم والمخترعات وإنما أصبحنا مستهلكين لما ينتج ولما يبدع غيرنا وناقلين لما يخترع الغرب.. فدخلت علينا المخترعات الجديدة بأسمائها.. الراديو والتليفزيون والتلفون والميكروفون والموتور والفريجيدير والأنسر ماشين والفيديو والكاميرا والكمبيوتر والإنتركوم والإنترنت.

نحن صناع الأهرامات لم نعد نصنع ساندوتش هامبورجر ولم نعد نخترع كنطاكي.

ولولا القرآن ولولا الإسلام لانتهينا.. فالمسجد كان حصنا حصينا لم تستطع هذه الغزوة المفترسة أن تقتسمه.. ولم يظهر مسجد اسمه مسجد الدريم لاند ولا مسجد الكورال بيتش ولا مسجد الباليه روالي.. ولا مسجد التانجو.. وإنما هناك مسجد الرحمة ومسجد المغفرة ومسجد قباء ومسجد النور.

ولم يدخل علينا الإسلام غازيا.. لم يدخل علينا ليسلينا كما يظن البعض.. بل دخل ليعيد إلينا ما فقد منا.. توحيد نبينا المصري إدريس.. الذي كان يشع على العالم من جامعة أون (عين شمس حاليا).

وكانت جامعة أون بمثابة أمريكا في إشعاعها الثقافي والديني والعلمي في ذلك الزمن القديم.. ونقرأ أن أفلاطون جاء من اليونان إلى مصر ليتلقى العلم في جامعة أون.. وليقرأ ما كتب في مخطوطاتها وبقى في مصر سنوات يدرس ويتعلم.

وما فعله أفلاطون فعله كل علماء وفلاسفة هذا العصر.. كلهم جاءوا إلى مصر ليتعلموا.. وهذا الكلام تاريخ وحقائق.. وكانت «صحف إدريس» ضمن ما تحتويه مخطوطات هذه الجامعة المصرية القديمة.. وقدقرأها موسى ودرس ما فيها حينما تبناه الفرعون.

وما تبقى من «صحف إدريس» هو ما يعرف اليوم بكتاب الموتى الذي عثر على بعض بردياته في الأهرامات.. وهو من أجمل ما قيل في التوحيد من تسابيح.

نحن إذن بلاد علم وفلسفة وتاريخ.. وحالة «الهيافة» الشائعة حاليا في ثقافتنا وفي تعليمنا وهذا الانحدار في لغتنا والسوقية في أخلاقنا والسطحية في تفكيرنا هي ظواهر غازية وليس

أصيلة.. وهى بقى وقدارات من العالم الغربى أصابتنا أثناء تسكعنا فى أزقة نيويورك.

والقرآن العظيم فى عطائه الإلهى وآياته التى تمكنت من شغاف قلوبنا هى التى ستحفظ لغتنا العربية الجميلة وهى التى ستحفظ قلوبنا من التردى وهى التى ستروى بقية الأصالة فىـنا.. إنها الحبل الممدود من رحمة الله لإنقاذنا.

ولهذا تحاول الصهيونية من خلال أمريكا ومعوناتها وتوصياتها وضغوطها وعملاًثاً تدمير النظام التعليمي وذلك بتخويفنا من الدين وبتشويه الإسلام ودمجه بالإرهاب.

والخطيط الآن على اتساع العالم هو صناعة وتمويل إرهاب إسلامي مأجور واستخدامه للتفجير والتحذير من الإسلام تمهدًا لشطب فقه الجهاد من العقل المسلم واعتباره إجراماً وإرهاباً وفقه الجهاد هو بعض ما قام المشركون في الأزهر بشطبـه واختصارـه من المقررات الجديدة على الطلبة للأسف الشديد.

إنها معركة حقيقية ومستمرة على جميع الأصعدة.. على المستوى الدينى واللغوى والاجتماعى والعروبى والسياسى والعسكري والوطنى.

ولكنها لن تنجح.. لأن القرآن الشامخ فى لغته الرفيع فى معانـيه التقدمـى فى تعالـيمـه السـمـعـى فى شـرـائـعـه الجـمـيلـى فى آياتـه الموسيقـى فى إيقـاعـاتـه.. سوف يقف سـداً مـانـعاً يـتحـطمـ علىـه مـكرـهمـ.

فـعـنـهـمـ المـبـانـىـ.. وـعـنـدـنـاـ المـعـانـىـ  
وـعـنـهـمـ عـلـومـ الدـمـارـ.. (وـكـانـ قـومـ عـادـ يـنـحـتـونـ الجـبـالـ).. وـكـانـ  
عـنـهـمـ مـاـ هـوـ أـبـهـىـ مـنـ نـيـوـيـورـكـ.. (أـرـمـ ذـاتـ العـمـادـ).. الـتـىـ لـمـ

يخلق مثلها في البلاد) هكذا يقول عنها رب العالمين.. إنها لم يخلق مثلها في البلاد) فذهبوا وذهب عمارتهم ولم يبق لها أثر.. وبقيت أهراماتنا تدل علينا.

تلك عاد التي أسمتها القرآن (عادا الأولى).. لماذا وصفها بأنها الأولى؟!

لابد أننا الآن في زمان عاد الثانية (أمريكا)  
 وأنه سيجري على الثانية ما جرى على الأولى.  
ويقول الساخرون منهم:

أنتم تنتظرون ربكم أن يفعل لكم كل شيء.. فهو يلهمكم ويعلمكم وينصركم ويداويكم ويشفيكم ويغنيكم.. وقد جعلتم من أنفسكم عالة.. بل أنتم قوم مهزومون.  
ونقول لهم.. كل الخلق عالة على الله من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون.

ولما نرى غرابة في هذا فنحن نشعر بقينا أننا نحيا بالله وأننا نرى به ونسمع به ونتنفس به.. وكان نبينا يقول لربه.. بك أحيا وبك أصول وبك أجou ولا فخر لي.. إنها حقيقة نؤمن بها.

فلا علم لنا إلا من مدده  
وهو الذي علمكم فأطغاكم علمكم وأنساكم ذكره.  
وما النصر والهزيمة إلا تداول النهار والليل.. والأيام دول..  
وما من جبار لم يتنكس رأيته.

وكم من منتصر في الظاهر وهو مهزوم القلب أمام شهواته وغرائزه.. واقرأوا حكايات مونيكا وكلينتون.. ولماذا استنكرون أفعال الرجل وهو يطبق أفكاركم ويمشى على ناموسكم.  
أم أنها صحوة الفطرة أصابتكم فلم تملکوا إلا أن تقبحوا القبيح.

أم أنها لبست المكر وأساليب التأمر ومكياج الأخلاق تضعونه على وجوهكم في الليل وتغسلونه بالنهار.

احترنا فيكم

ويقولون.. نحن لم نقبح فيه الفعل.. بل قبحنا فيه الكذب.

- ولما تاب وأناب واستغفر ماذا فعلتم؟

- إنه لم يتب ولا استغفر بل استرسل في الكذب.. إنه ممثل عظيم.

- وهل مدینتكم بأسرها إلا أزياء ومسوح وماكياج وأكاذيب وأكبرها كذبا تمثال الحرية الواقف على مدخل أمريكا.. حرية من وأنتم تستعبدون أحرار العالم وتأكلون أموالهم وتنهبون ديارهم وتحتلون أرضهم.. وهل قامت أمريكا إلا على أنقاض الهنود الحمر الذين أبيدوا عن آخرهم.

وقنابلكم على مصنع الشفاء.. التي حرمت الشعب السوداني من الدواء.. أى حرية صنعت.

ويستمر الكلام إلى الأبد.. ويستمر الجدل في كل بيت.. و持續 مكابرة المكابرین.

ولأنما أراد الله أن يمتحن الكل وأن يختبر القلوب والآفوس حتى نخاع العظام.

وهو هو وحده الذي يعطي الحرية للجميع ليفعل كل أمره ما يحلو له حتى لا يعود لأحد منهم عذر وحتى لا تبقى له ذريعة ولا تعود له حجة.. ثم يهدم ربنا الدنيا ويأتي بعالیها سافلها.

ثم يأتي بالكل أمامه فردا فردا

ثم يبدأ الكلام المفيد

و ساعتها.. حينما تتعرى النقوس عن أحقادها.. لا يعود هناك مخرج.

فريق في الجنة وفريق في السعير  
ولقد كانوا جحيم هذه الدنيا وسعيرها بالفعل حتى وهم فيها.  
وكان النار تنقدح في نظراتهم واللهيب يشتعل في أحقادهم.  
ولقد صدق الشيخ الأكبر ابن عربى حينما تصور ذلك الحوار  
الخيالى فى قاع الجحيم بين هؤلاء الشياطين وبين ربهم.. وهم  
فى ثورتهم يجأرون.. كيف تحكم علينا بهذا يارب.  
فيقول لهم ربهم..

ما حكمنا عليكم ولكن هكذا كنتم  
فهم أهل الجحيم منذ البداية وهم أهل النار الذين هم أهلها منذ  
أن وجدوا.. ولكن الهيكل الترابي والبدن الطيني كان يخفي  
حقائقهم..

وقد تنكروا في هذه الأزياء واستترموا في هذه المناصب  
وتخفوا في هذه الشخص.. حتى داهمهم الموت فخلع عنهم هذا  
البهرج وأسقط عنهم هذا الثوب الكاذب الزائف.

فمني نُسقط عن أنفسنا هذا الزيف بآيديينا قبل أن يفاجئنا  
الموت فيعرinya هذه التعرية المخجلة.

متى نعود إلى مصريتنا وإلى عروبتنا وإلى إسلامنا وإلى لغتنا  
وإلى أصلنا.

متى ثلثقط قارب العبور في محيط العولمة الخادع ونكتشف  
طريقنا إلى نقوتنا وإلى حقائقنا وإلى تميزنا وانفرادنا..  
وخصوصيتنا.

إن العودة إلى النفس هي بداية النجاة  
ومعرفة النفس هي أم المعارف وبداية الطريق لمعرفة الله.  
والبتت «السوبر» لن تصلح لتعمر بيتك

إنها قد تصلح كقطعة ديكور.. أو كورق ملون للحائط.. أو كدمية من السوليغان.. أو فيلم لفرجة ليلة.  
ولكنها لن تصلح لرحلة عمر.. لأنها فقدت نفسها.. فقدت خصوصيتها.

وكل نسخة من نفوسنا خلقها الله كبصمة الأصبع خاصة جداً وشديدة الخصوصية وغير قابلة للتكرار وغير قابلة للعولمة.. فهى ذات ليس لها مثيل في سرها وخصوصيتها.. وهى تلمع وتتألق كالجوهرة كلما حافظت على هذه الخصوصية ولم تذب ولم تتعمد ولم تصبح مشاعاً.  
والنفوس العظيمة هي التي استعانت على الذوبان وحافظت على البصمة الإلهية الخاصة فيها.

وما أكثر ما تروج صحفتنا من ضلالات.  
وأولى تلك الضلالات هي «العولمة» وهي كلمة مهذبة جداً للتبعية والأمركة وفقدان الهوية والخصوصية والذوبان في الهمامية العالمية.

وليس أجمل في الدنيا من قول لا إله إلا الله.  
فإن الله يقول لك لحظتها.. ولا أحد مثلك.. فأنت أيضاً نسيج وحدك.. وهذا خلقتك.

نعم.. فلا أحد مثل أحد.. وكل واحد منا فيه «أحادية» تميزه تشريفاً وتكريماً من الأحد الذي خلقه  
ولا تحدث المثلية إلا لمن فقدوا نفوسهم وفقدوا وجوههم وضلوا عن خصوصيتهم.

فلنعد إلى أول صفحة من كتاب الموتى ونتلو أول عبارة من صحف النبي إدريس.. إنه الله الواحد الأحد جل جلاله لا إله إلا

### **■ البتت، السوين، ■**

هو تعالى على الشبيه والمثيل.. ليس كمثله شيء.  
هذه الترنيمة السماوية.. التي تتردد منذ آلاف السنين.. هي مصر.

وما دخل الإسلام مصر إلا ليذكرنا بها ولغتنا العربية هي حصننا ومحفظة تاريخنا وحروف قرآننا. وهي وجهنا وملامحنا والتقرير فيها تقرير ملامحنا وساحتنا ونسبنا وهويتنا.

والقرارات التي نزلت بدرجات اللغة العربية في المجموع إلى مستوى درجات الانجليزية.. كانت جريمة بكل المقاييس.. أن ننزل بلغتنا إلى مستوى اللغة الثانية بارادتنا!!

وإصلاح هذا الأمر.. والنهوض بتعليم اللغة العربية واجب في رقبة الجالس على كرسى وزارة التربية والتعليم.. فما يصلنا من خطابات بلها مليئة الأخطاء يدل على تدهور مستوى هذه اللغة إلى درجة تنذر بالخطر.. ومذيعو النشرات في التليفزيون يتهدى بعضهم الكلمات.

واللغة التي تتبادلها في غفلة وخفة هي صنعة إلهية.. والله هو الذي علمها بذاته لأدم.. فهو الذي علم آدم الأسماء كلها.

ومعلم العربية هو خليفة الله في هذا الشرف الرفيع.. ومن يحلم بمثل هذا الشرف؟!  
وندق جرس الإنذار

## الفهرس

### الصفحة

٥	الساعة
١٥	ماذا وراء بوابة الموت
٢٥	الإنسان مخير .. أم مسير ؟
٣٧	نقطة من .. المحيط
٤٥	من أنت
٥٥	الصوفى والبحر
٦٣	لحظات النشوة
٧٣	المهمة الغامضة
٨٥	كلام في الحب
٩١	يوجا
٩٩	آفاق المستقبل
١٠٧	مفاجأة كل يوم
١١٥	قاذفة القنابل
١٢١	الفجر القريب
١٢٩	نهاية الظلم
١٣٧	ماذا وراء العاصفة
١٤٧	إنذار بسوء الخاتمة
١٥٧	البنت السوبر

الترقيم الدولي

I.S.B.N

977 - 08 - 0802 - 4

رقم الإيداع

٩٩/٢٠٠



**EGYPTAIR**

أكثر من ٤٠٠ رحلة أسبوعياً  
إلى ٩٢ دولة عالمية ومهلة



## هذا الكتاب

عشرات من الأسئلة الأزلية التي  
ما زالت تلح على الأذهان دون إجابات  
شافية .. مثل ما هو عذاب القبر ؟ ..  
وهل الإنسان مخير أم مسير ؟ .. وما هي  
حقيقة النفس الإنسانية ؟ .. وإذا كان  
الله يعرف حقيقة النفس وما سوف  
تفعله فلماذا يعذبها ؟ .. وهل يمكن  
للمجتمع أن يغير من إنسان صالح إلى  
إنسان مجرم ؟ .. وما هو الفرق بين  
عذاب القبر والعذاب بعد البعث ؟ .. وما  
هي صورة الحياة داخل الجنة والنار ؟ ..  
أسئلة أزلية وعويصة .. استطاع  
د. مصطفى محمود في هذا الكتاب

يجيب عليها إجابات حاسمة وقاد  
وكلها من خلال ما جاء في الكتاب  
ال الكريم وحده .

نبيل



0393086

الثمن ٥ جنيهات

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)